على مائدة العقيدة

٩

الزيارة

في الكتاب والسنة

تحليل لنصوص الزيارة وآثارها وأحكامها

جعفر السبحاني



الزیاره فی الکتاب و السنه

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الزیاره فی الکتاب و السنه

اشارهٔ

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نـام پدیـدآور : الزیـاره فی الکتـاب و السـنه : تحلیـل لمفهوم الزیاره و آثارها و احکامها/ جعفر السبحانی مشخصات نشر :
[تهران : نشر مشعر، ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴.
مشخصات ظاهری : ص ۸۸
فروست : (علی مائده العقیده۹)
شابک : بها:۱۳۰۰ریال ؛ بها:۱۳۰۰ریال وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به‌صورت
زیرنویس موضوع : زیارت -- آداب و رسوم موضوع : زیارت -- آداب و رسوم -- احادیث رده بندی کنگره : BP۲۶۲/س۲ز۹
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۷۶
شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۸۲۵۳
ص: ۱

اشارهٔ

ص: ۲

ص: ۳

تمهید

اشارة

ص: ۴

قال اللّه تبارک وتعالی:

«وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولَ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً». النساء/ ۶۴

وقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم:

«زوروا القبور فإنّها تُذکِّر الآخرةَ». ابن ماجة، السنن، ح ۱۵۶۹

وقال النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم:

«مَن زارَ قبری وجبتْ له شفاعتی». الدارقطنی ۲: ۲۷۸

ص: ۵

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل

والحمد للَّهربّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيد رُسُله، وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدة الصحيحة لأنّها تشكّل حجر الزاوية فى سلوكهم ومناراً يضىءُ دروبهم وزاداً لمعادهم.

ولهذا كرّسَ رسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى الفترة المكيّة من حياته الرسالية نفسه لإرساء أُسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرك والوثنية، ثم بنى عليها فى الفترة المدنية صَرحَ النظامِ الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسىّ.

ولهذا- ونظراً للحاجةِ المتزايدة- رأينا أن نقدّم للأُمةِ الإسلاميّة الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدَّةٍ من كتاب اللَّهِ العزيز، والسُنّةِ الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتَّفق عليه علماءُ الأُمةِ الكرام، واللَّه الموفِّق.

معاونيّة التعليم والبحوث الإسلاميّة

ص: ۶

الاسلام دین الفطرة

عنـدما نقول إنّ الاسـلام دین الفطرة فهـذا لاـ یعنی أنّ کـل حکم جزئیّ منه یوافقهـا، بـل یعنی أنّ الاُـصول الکلّیـة فی مجـالی العقائد والشـریعة، تنسـجم مع الفطرة وتوحی إلیها بشـکل واضح، ولذلک کانت تعالیم الانبیاء، وفی مقدَّمتهم الشـریعة الاسلامیة، تثیر مکنون الفطرة، لـذا فهم قبـل أن یکونوا معلِّمین کـانوا مـذکِّرین بمـا أودع الله سـبحانه فی فطرة الانسان من میولات نحوَ العبودیـة لله سـبحانه، والانشـداد إلی ما وراء الطبیعـة، والجنوح إلی العـدل ومکارم الاخلاق، والنفور عن الظلم ومساوئ العادات. فکأنَّ الفطرة أوّلُ مدرسـة یتعلّم فیهـا الانسـان أصولَ المعـارف ومکـارمَ الاخلاـق وآدابهـا، من دون معلِّم، وهـذا لطف وامتنـان منه سـبحانه لعبـاده ویعـدّ الحجرَ الاساس لسائر الهدایات الالهیة الواصلة إلیهم عن طریق أنبیائه ورسله.

وإلی ذلک یشیر قوله سبحانه: (وَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا لاَ تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللهِ وَلَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لاَ

ص: ۷

یَعْلَمُونَ) (الروم/۳۰) فإنّ المراد من الدین فی الایة مجموع العقیدة والشریعة، کما فسّره به مشاهیر المفسّرین، وکلمة (فِطْرَتَ اللهِ) التی نصبت علی الاختصاص تفسیر للدین، فالدین ـ بتمام معنی الکلمة ـ یوافق فطرة الانسان، بالمعنی الذی عرفت، أی أنّ أصوله وکلّیاته تنسجم مع الفطرة ولیست الایة وحیدة فی بابها بل لها نظائر فی الذکر الحکیم تؤکّد مضمونها، وتثبت بوضوح کون معرفة المحاسن والمساوئ والفجور والتقوی والمیل إلی الفضائل، والانزجار عن الرذائل أمراً فطریاً إلی حدّ یقول سبحانه: (وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس/۸) وفی آیة أُخری: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ | وَلِسَاناً وَشَفَتَیْنِ | وَهَدَیْنَاهُ النَّجْدَیْنِ) (البلد/۸ ـ ۱۰).

فالانسان الطبیعی الذی لم یتأثّر بالمناهج البشریة، یدرک المحاسن والمساوئ، والفجور والتقوی والخیر والشر، کرامة من الله سبحانه إلیه.

ومن روائع الکلم ما روی عن الامام علیّ (علیه السلام) حول تحدید دعوة الانبیاء وأنّ دورهم فی مجال التربیة تذکیرهم بمقتضیات الفطرة. یقول(علیه السلام):

«فبعثَ الله فیهم رُسُلَه، وواتر إلیهم أنبیاءه، لِیستَأدوهم میثاقَ فطرته ویُذکِّروهم منسیَّ نعمتِه، ویحتجّوا علیهم بالتبلیغ، ویُثیروا لهم دفائنَ العقول»(۱) .

۱- نهج البلاغة، الخطبة الاولی.

ص: ۸

فالشرائع السماوية كأنّها تستنطِق الفطرة وتُذكِّر بالنعمة المنسية بفعل الاهواء والدعايات الباطلة، وقد أُمر حملتها بإثارة ما دفن فى فطرة الانسان من جواهر المعقولات فى مجالى العقيدة والشريعة.

وعلى ذلك فالشريعة ـ وفقَ الفطرة ـ مصباح ينير الدرب لكلّ ساع فى طلب الحقّ. وكلّ فكرة أو ميل، توحى إليهما الفطرة فهو آية كونه حقّاً، وكلّ فكرة أو جنوح، يناقض الفطرة وترفضهما فهو آية كونه باطلًا. ولاجل ذلك تخلينا عن الرهبانية والتعزّب ووأْد البنين والبنات لانها تخالف مقتضى الفطرة.

إنّ البحث فى كون الشريعة الالهية شريعة فطرية، يتطلّب مجالاً واسعاً لما يترتّب على البحث من نتائج مشرقة تعين على حل مشاكل أثارها خصوم الاسلام فى مجال خاتمية الشريعة الاسلامية، حيث إنّهم يرفضون كون الدين ديناً خاتماً، بزعمهم أنّ الحياة الانسانية حياة متغيّرة ومتحوّلة فكيف يمكن تدبير المجتمع المتغيّر، بقوانين ثابتة جامدة؟

ولكنّهم لعدم معرفتهم بحقيقة الشريعة الاسلامية، غفلوا عن أمر هام، وهو أنّ المتغيّر فى الحياة الانسانية هو القشر، لاـ اللبّ، وإلاّ فالانسان بما له من غرائز وميول علوية وسفلية لم يتغيّر ولن يتغيّر، وبهذه الميزة والخصوصية هو محكوم بالقوانين الثابتة.

فالانسان القديم كان يُحبُّ العدلَ وينفر من الظلم ويميل إلى الزواج والحياة الاجتماعية وهكذا الانسان فى العصر الحاضر، إذن فالقانون فى حقهما سواء وإن تغيّرت أجواء الحياة وقشورها ولباسها وظواهرها.

ص: ۹

الصلهٔ بين الاحياء والاموات

إنّ زيارهٔ الانسان لقبر حبيبه ومن كانت له به صلهٔ روحيهٔ أو مادّيهٔ، هى ممّا تشتاق إليه النفوس السليمهٔ، فكلّ من يعيش تحت السماء باسم الانسان السوىّ اذا فارقَ أحبّته وأقرباءه، لا يقطع علاقته بمن شغف قلبه حبّاً، بل هو على حبّه باق، ويريد أن يُجسِّد محبَّته وشوقه بصور مختلفهٔ، فهو تارةً يأوى إلى آثار حبيبه ورسوم داره وأطلاله فيحتفظ بألبسته وأثاثه وقلمه وخطوطه، ولا يكتفى بذلك بل يحاول أن يزور قبره وتربته حيناً بعد حين. كلّ ذلك بباعث ذاتى من صميم خلقته، فلا يصحّ لدين أُسُّه الفطرهٔ أن يخالفه أو يمنعه من وصل أحبّائه وتعاهدهم.

لكن للاسلام أن يحدّدها ويذكر آدابها ويمنع عن بعض الامور غير الدخيلهٔ فى صميمها، لكن ليس فى وسعه بما أنّه مناد لدين الفطرهٔ أن يقوم بقطع العلائق مع الاحبّهٔ بتاتاً.

وعلى ضوء ذلك ترى أنّ السنّهٔ حثّت على زيارهٔ القبور وذكرت آثارها البنّاءهٔ، ولو منعت فى فترهٔ خاصّهٔ ـ لو صحّ المنع ـ فإنّما هو لمانع عن تطبيق الحكم وتنفيذه كما سيظهر لك.

هذا هو أصل الزيارهٔ، وقضاء الفطرهٔ على وفقه.

مضافاً إلى ذلك فلها آثار تربويّهٔ وهى ما يلى:

ص: ۱۰

الاثار التربوية لزيارة القبور

إنّ زيارة القبور تنطوى على آثار تربوية، وأخلاقية وذلك لانّ مشاهدة المقابر التى تضمُّ فى طياتها مجموعة كبيرة من الذين عاشوا فى هذه الحياة الدنيا، وكانوا بمكان عال من القدرة والسلطة، ثمّ انتقلوا إلى الاخرة، تؤدّى إلى الحدّ من روحِ الطمع، والحرص على الدنيا، وربّما تُغيّر سلوك الانسان لما يرى أنّ المنزل الاخير لحياته إنّما هو بيت ضيّق ومظلم باق فيه إلى ما شاء الله، فعند ذلك ربما يترك المظالم والمنكرات ويتوجّه إلى القيم والاخلاق.

وإلى هذا الجانب من الاثر التربوى يشير النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله)ويقول:

«كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنّها ترقُّ القلوب، وتدمعُ العين وتذكِّر الاخرة، ولا تقولوا هجراً»(۱) .

وفى لفظ آخر: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور فإنّها تزهّد فى الدنيا»(۲) . وفى لفظ ثالث: «وتُذكّر الاخرة» (۳) .

وعن أبى هريرة أنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) زار قبر أُمّه ولم يستغفر لها. قال: «أُمرتُ بالزيارة ونُهيت عن الاستغفار فزوروا القبور، فإنّها تذكّر الموت»(۴) .

وعنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «زوروا القبور فإنّها تذكّركم الاخرة»(۵) .

۱- المتقى الهندى، كنز العمال : ج۱۵، الحديث ۴۲۵۵۵ و ۴۲۹۹۸.

۲- كنز العمال ۱۵ : الحديث ۴۲۵۵۲.

۳- ابن ماجة، السنن ۱ : ۵۰۱ ح۱۵۷۱.

۴- مسلم، الصحيح ۲ : ۶۷۱ ح۱۰۸ ـ أحمد بن حنبل، المسند ۱ : ۴۴۴ ـ ابن ماجة، السنن ۱ : ۶۷۶ ـ أبو داود، السنن ۲ : ۷۲ ـ البيهقى، السنن ۴ : ۷۶ ـ النسائى، السنن ۴ : ۹۰ ـ الحاكم، المستدرك ۱ : ۳۷۶.

۵- ابن ماجة، السنن ۱ : ۵۰۰ ح۱۵۶۹.

ص: ۱۱

ويظهر من بعض الروايات أنّ النبيّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) نهى يوماً عن زيارة القبور ثمّ رخّصها وكان النهى والترخيص من الله سبحانه.

ولعلّ النهى كان بملاك أنّ أكثر الاموات يومذاك كانوا من المشركين، فنهى النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن زيارتهم ولمّا كثر المؤمنون بينهم رخّص بإذن الله.

ولعلّ النهى كان بملاك آخر وهو أنّ زيارة القبور تُذكّر الموتى والقتلى وتورث الجبن عن الجهاد، وإذ قوى الاسلام رخّص الزيارة(۱).

وعن أمّ سلمة عنه (صلى الله عليه وآله): «نَهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّ لكم فيها عِبرة»(۲) .

الاثار الاجتماعية لزيارة أكابر الدين

قد تعرّفت على الاثار التربوية لزيارة قبور المسلمين، وهنا آثار تختصّ بزيارة أكابر المسلمين ورؤسائهم، وفى طليعتهم زيارة النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله) وهى: أنّ فى زيارتهم نوعاً من الشكر والتقدير على تضحياتهم، وإعلاماً للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الّذين يسلكون طريقَ الحقّ والهدى والدفاع عن المبدأ والعقيدة.

ولاجل هذا الاثر الممتاز لزيارة صُلحاء الاُمة، نجد أنّ الاُمم الحيّة تتسابق على زيارة مدفن رؤسائهم وشخصيّاتهم، الّذين ضحّوا بأنفسهم

۱- الجناحى النجفى : منهج الرشاد : ۱۴۴.

۲- المتقى الهندى، كنز العمال ۱۵ : ۶۴۷ ح۴۲۵۵۸.

ص: ١٢

وأموالهم فى سبيل إحياء الشعب واستقلاله من أيدى المستعمرين والظالمين، ويقيمون الذكريات المئوية لاحياء معالمهم، ويعدّونه تعظيماً وتكريماً لاهدافهم.

وهذا هو العالم بغربه وشرقه، فيه قبور وأضرحة لشخصيّاته وعظمائه وصلحائه من غير فرق بين دينى ودنيوى، لانّ الانسان يرى زيارتهم تكريماً لهم وتأدية لحقوقهم ووفاءً لعهدهم، فكلّ ما يقوم به فهو بوحى الفطرة ودعوتها إلى ذلك.

إنّ القبور التى تحظى باهتمام واحترام المؤمنين بالله فى العالم ـ وخاصة المسلمين ـ هى فى الغالب قبور حملة الرسالات الاصلاحيّين الذين أدّوا مهمّتهم على الوجه المطلوب.

وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الانبياء والقادة الديتيّون الذين حملوا على عاتقهم رسالة السماء وضحّوا ـ من أجلها ـ بالنفس والمال والاحباب، وتحمّلوا أنواع المتاعب والمصاعب من أجل هداية الناس.

٢ ـ العلماء والمفكّرون الذين كانوا كالشّمعة تُحرقُ نفسها لتضيء للاخرين، وقد عاش هؤلاء حياة الزهد والحرمان، وقدّموا للعالم، البحوثَ القيّمة والتحقيقات الرائعة فى مجالات العلم والفكر والطبيعة ومفاهيم السماء وعلوم الكون والمخلوقات وغير ذلك.

٣ ـ المجاهدون الثائرون الذين ضاقوا ذرعاً بما يعيشه المجتمع من الظلم وسحق الحقوق والتمييز العنصرى أو القومى، فثاروا ضدّ الظلم والطغيان وطالبوا بحفظ كرامة الانسان وأداء حقوقه، وأقاموا

ص: ۱۳

صرح العدالة بدمائهم الغالية.

إنّ أيّة ثورة أو تغيير اجتماعى لا يُقدَّر له النجاحُ إلّا بدفع الثمن، وإنّ ثمن الثورة التى تستهدف تدمير قصور الظالمين، وخنق أنفاسهم هو الدماء الزكية التى يُضحّى بها المقاتلون الابطال لاعادة الحقّ والحرّية إلى الوطن الاسلامى.

إنّ الناس يزورون قبور هؤلاء ويذرفون عندها الدموع، ويتذكّرون بطولاتهم وتضحياتهم، ويُسعدون أرواحهم بتلاوة آيات من القرآن الحكيم هديّة إليهم، وينشدون قصائد فى مدحهم وثنائهم وتقدير مواقفهم المشرقة.

إنّ زيارة مراقد هذه الشخصيات هى نوع من الشكر والتقدير على تضحياتهم، وإعلام للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الذين يسلكون طريقَ الحقّ والهدى والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة.

إنّ جزاءهم هو خلود الذكر الحسن والثناء الجميل، بالرغم من مرور الزمان على وفاتهم، وتعريفُ الناس بتلك الشخصيات الراقية وبمعتقداتهم التى ضحّوا من أجلها، واحترام مراقدهم وتجنّب كلّ ما يمسّ بكرامتها، لانّ احترام قبورهم احترام لرسالاتهم وعقائدهم، كما أنّ أىّ نوع من الاهانة والتحقير تجاه مراقدهم هو فى الحقيقة إهانة لرسالاتهم وتحقير لشخصيّتهم.

ثمّ إنّ لبعض أهل المعرفة تحليلاً علمياً رائعاً فى زيارة النبى الاكرم نذكره بنصّه قال:

إعلم أنّ النفوس القوية القدسية، لا سيّما نفوس الانبياء

ص: ۱۴

والائمـة(عليهم السـلام)، اذا نفضوا أبدانهم الشـريفة وتجرّدوا عنها، وصـعدوا إلى عالم التجرّد، وكانوا فى غاية الاحاطة والاستيلاء على هـذا العـالم يكون العالم عنـدهم ظاهراً منكشـفاً، فكلّ من يحضـر مقابرهم لزيارتهم يطّلعون عليه، لا سـيّما ومقابرهم مشاهـدُ أرواحهم المقدّسة العلية، ومحالّ حضور أشباحهم البرزخيّة النورية، فإنّهم هناك يشهدون (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران/۱۶۹)، وبما آتـاهم الله من فضـله فرحـون، فلهم تمـامُ العلم والاطّلاـع بزائرى قبـورهم، وحاضـرى مراقـدهم ومـا يصـدر عنهم من السؤال والتوسّـل والاستشـفاع والتضـرّع، فتهبّ عليهم نسـماتُ ألطـافهم، وتفيض عليهم من رشـحات أنـوارهم، ويشـفعون إلى الله فى قضـاء حـوائجهم، وإنجاح مقاصدهم، وغفران ذنوبهم وكشف كروبهم.

فهذا هو السـرفى تأكّد اسـتحباب زيارة النبىّ والائمة (عليهم السـلام) مع ما فيه من صـلة لهم. وبرّهم وإجابتهم، وإدخال السرور عليهم، وتجـدّد عهـد ولايتهم، وإحياء أمرهم، وإعلاء كلمتهم، وتنكيت أعدائهم. وكلّ واحد من هذه الاُمور ممّا لا يخفى عظيم أجرُهُ وجزيل ثوابه.

وكيف لاـ تكون زيـارتُهم أقربَ القربـات، وأشـرفَ الطاعـات، ومع أنّ فى زيـارة المؤمن ـ من جهـة كونه مؤمنـاً فحسب ـ عظيم الاجر وجزيل الثواب، وقد ورد به الحثّ والتوكيد والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة، ولذلك كثر تردّد الاحياء إلى قبور أمواتهم للزيارة، وتعارف ذلك بينهم، حتى صارت لهم سنّة طبيعية.

وأيضاً قد ثبت وتقرّر جلالة قدر المؤمن عند الله، وثوابُ صلته

ص: ۱۵

وبرّه وإدخـال السـرور علیه. وإذا کـان الحال فی المؤمن من حیث إنّه مؤمن، فما ظنّک بمن عصـمه الله من الخطأ، وطهّره من الرجس، وبعثـه الله إلی الخلائق أجمعیـن، وجعلـه حجّـة علی العـالمین، وارتضـاه إمامـاً للمـؤمنین، وقـدوة للمسـلمین ولأجله خلـق السـماوات والارضـین، وجعله صـراطه وسبیلَه، وعینه ودلیله، وبابه الـذی یُؤتی منه، ونورَه الذی یسـتضاء به، وأمینَه علی بلاده، وحبله المتّصل بینه وبین عباده، من رسل وأنبیاء وأئمة وأولیاء(۱) .

وفی الختام نقول: لیس الهدف من هذا التقدیم تصویبَ بعض ما یقع عند الزیارة من محرّمات الافعال فإنّها أُمور جانبیّة لاتمتّ لاصـل الزیارة بصلة، والذی ندّعیه وعلیه یشهد عمل العقلاء فی العالم دینهم وغیره، أنّ للانسان علاقة بمن کان یعشقه ویحبّه فلا یقطع علاقته به بموته بـل یحتفـظ بهـا بشـکل خـاص بعـد الفراق أیضاً، وهـذا شـیء یلمسه الانسان من صـمیم ذاته ولیس لشـریعة سـماویة بما أنّها تجاوب الفطرة تمنعه من ذلک، بل لها أن تعدله وتحدّده وتعزل ما لیس منه عنه.

وها نحن نعالج الموضوع بالبحث فی الأُمور التالیة:

۱ ـ زیارة القبور فی الکتاب والسنّة النبویة.

۲ ـ أعلام الأُمة وزیارة النبی الاکرم.

۳ ـ زیارة النبیّ (صلی الله علیه وآله) فی الکتاب.

۴ ـ زیارة النبی (صلی الله علیه وآله) فی السنّة.

۵ ـ شدّ الرحال إلی زیارة قبر النبیّ الاعظم.

۶ ـ شبهات وتشکیکات حول زیارة النبیّ الاکرم.

۷ ـ خاتمة: تذکرة وإنذار.

۱- محمد مهدی النراقی، جامع السعادات ۳ : ۳۹۸ و ۳۹۹.

ص: ۱۶

۱ـ زيارهٔ القبور فى الكتاب والسنّهٔ

اشارهٔ

قـد عرفت أنّ زيارهٔ الانسان لمن له به صـلهٔ روحيـهٔ أو ماديهٔ، ممّا تشـتاق إليه النفوس السـليمهٔ، بل هى من وحى الفطرهٔ، ولاجل ذلك نرى أنّ الكتابَ والسنّهٔ يدعمان أصلَ الزيارهٔ بوجه خاص.

أمّا الكتـاب فقوله سـبحانه: (ولاـ تُصَـلِّ عَلى أحَـد مِنْهُمْ مـاتَ أبَـداً وَلاـ تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إنَّهُمْ كَفَرُوا بِـاللهِ ورَسُولهِ ومـاتُوا وهَم فاسِـقُونَ) (التوبهٔ/۸۴).

إنّ الايهٔ تسعى لهدم شخصيهٔ المنافق، وهزّ العصا فى وجوه حزبه ونظرائه. والنهى عن هذين الامرين بالنسبهٔ إلى المنافق، معناه ومفهومه مطلوبيهٔ هذين الامرين (الصلاهٔ والقيام على القبر) بالنسبهٔ لغيره أى للمؤمن.

والان يجب أن ننظر فى قوله تعالى: (ولا تَقُم عَلى قَبره) ما

ص: ۱۷

معناه؟

هل المعنی هو القیام وقت الدفن فقط، حیث لا یجوز ذلک للمنافق ویستحب للمؤمن، أو المعنی أعم من وقت الدفن وغیره؟

إنّ بعض المفسّرین وإن خصّوا القیامَ نفیاً وإثباتاً بوقت الدفن لکن البعض الاخر فسروه فی کلا المجالین بالاعم من وقت الدفن وغیره.

قال السیوطی فی تفسیره: ولا تَقم علی قبره لدفن أو زیارة(۱).

وقال الالوسی البغدادی: ویفهم من کلام بعضهم أنّ «علی» بمعنی «عند» والمراد: لاتقف عند قبره للدفن أو للزیارة(۲) .

وقال الشیخ إسماعیل حقّی البروسی: (ولاتَقُم علی قبره) أی ولا تقف عند قبره للدفن أو للزیارة والدعاء(۳) .

إلی غیر ذلک من المفسرین، وقد سبقهم البیضاوی فی تفسیره(۴) .

والحقّ مع من أخذ بإطلاق الایة وإلیک توضیحه:

إنّ الایة ;تتشکل من جملتین:

الاُولی:

قوله تعالی: (ولا تصلّ علی أحد منهم ماتَ أبداً) .

إنّ لفظة «أحد» بحکم ورودها فی سیاق النفی تفید العموم

۱- السیوطی، تفسیر الجلالین: سورة التوبة فی تفسیره الایة.

۲- الالوسی البغدادی، روح المعانی ۱۰ : ۱۵۵.

۳- البروسی، روح البیان ۳ : ۳۷۸.

۴- البیضاوی، أنوار التنزیل ۱ : ۴۱۶، طبعة دار الکتب العلمیة، بیروت.

ص: ۱۸

والاستغراق لجميع الافراد، ولفظة «أبداً» تفيد الاستغراق الزمنى، فيكون معناها: لا تصل على أحد من المنافقين فى أىّ وقت كان.

فمع الانتباه إلى هذين اللَّفظين نعرف ـ بوضوح ـ أنّ المراد من النهى عن الصلاة على الميّت المنافق ليس خصوص الصلاة على الميت عند الدفن فقط، لانّها ليست قابلة للتكرار فى أزمنة متعدّدة، ولو أُريد ذلك لم تكن هناك حاجة إلى لفظة «أبداً»، بل المراد من الصلاة فى الاية مطلق الدعاء والترحّم سواء أكان عند الدفن أم غيره.

فإن قال قائل: إنّ لفظة «أبداً» تأكيد للاستغراق الافرادى لا الزمانى.

فالجواب بوجهين:

۱ ـ انّ لفظة «أحد» أفادت الاستغراق والشمول لجميع المنافقين بوضوح فلا حاجة للتأكيد.

۲ ـ انّ لفظة «أبداً» تستعمل فى اللّغة العربية للاستغراق الزمانى، كما فى قوله تعالى: (وَلا ـ أنْ تَنكِحُوا أزواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً) (الاحزاب/۵۳).

فالنتيجة أنّ المقصود هو النهى عن الترحّم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء أكان بالصلاة عليه عند الدفن أم بغيرها.

الثانية:

(ولاَ تقُمْ عَلى قَبْرِهِ) إنّ مفهوم هذه الجملة ـ مع الانتباه إلى أنّها معطوفة على الجملة السابقة ـ هو: «لا تَقُم على قبر أحد منهم مات أبداً» لانّ كل ما ثبت للمعطوف عليه من القيد ـ أعنى «أبداً» ـ يثبت للمعطوف أيضاً، ففى هذه الحالة لا يمكن القول بأنّ المقصود من

ص: ۱۹

القيام على القبر هو وقت الـدفن فقط، لانّ المفروض عدم إمكان تكرار القيام على القبر وقت الدفن، كما كان بالنسـبة للصـلاة، ولفظة «أبداً» المقدّرة فى هذه الجملة الثانية تفيد إمكانية تكرار هذا العمل، فهذا يدل على أنّ القيام على القبر لايختصّ بوقت الدفن.

وإن قال قائل: إنّ لفظة «أبداً» المقدّرة فى الجملة الثانية معناها الاستغراق الافرادى.

قلنا: قد سبق الجواب عليه، وأنّ لفظة «أحد» للاستغراق الافرادى، لا لفظة «أبداً» فهى للاستغراق الزمانى.

فيكون معنى الاية الكريمة: أنّ الله تعالى ينهى نبيه (صـلى الله عليه وآله) عن مطلق الاسـتغفار والترحّم على المنافق، سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده.

ومفهوم ذلك هو أنّ هذين الامرين يجوزان للمؤمن.

وبهذا يثبت جواز زيارة قبر المؤمن وجواز قراءة القرآن على روحه، حتى بعد مئات السنين.

هذا بالنسبة إلى المرحلة الاُولى وهى أصل الزيارة من وجهة نظر القرآن، وأمّا بالنسبة إليها من ناحية الاحاديث فإليك بيانها:

زيارة القبور فى السنّة النبوية

إنّ النبىّ الاكرم (صـلى الله عليه وآله) جسّـد بعمله مشـروعية زيارة القبور ـ مضافاً إلى أنّه أمر بها كما مرّ ـ وعلّم كيفيتها وكيف يتكلّم الانسان مع الموتى، فقد ورد فى غير واحد من المصادر، أنّه (صلى الله عليه وآله) زار البقيع، وإليك

ص: ۲۰

النصوص:

۱ ـ روی مسلم عن عائشة أنّها قالت: کان رسول الله(صلی الله علیه وآله) کلّما کان لیلتها من رسول الله (صلی الله علیه وآله) یخرج من آخر اللیل إلی البقیع فیقول: «السلام علیکم دار قوم مؤمنین وأتاکم ما توعدون، غداً مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بکم لاحقون، اللّهمّ اغفر لاهل بقیع الغرقد»(۱) .

۲ ـ وعن عائشة فی حدیث طویل أنّ النبیّ (صلی الله علیه وآله) قال لها: «أتانی جبرئیل فقال: إنّ ربّک یأمرک أن تأتی أهل البقیع فتستغفر لهم» قالت: قلت: کیف أقول لهم یا رسول الله؟ قال: «قولی: السلام علی أهل الدیار من المؤمنین والمسلمین، ورحم الله المستقدمین منّا والمستأخرین وإنّا إن شاء الله بکم لاحقون»(۲) .

۳ ـ وروی ابن بریدة عن أبیه قال: کان رسول الله (صلی الله علیه وآله) یُعلِّمهم إذا خرجوا إلی المقابر فکان قائلهم یقول: ـ فی روایة أبی بکر ـ «السلام علی أهل الدیار» وفی روایة زهیر: «السلام علیکم أهل الدیار من المؤمنین والمسلمین وإنّا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولکم العافیة»(۳) .

۴ ـ عن ابن بریدة عن أبیه: قال رسول الله (صلی الله علیه وآله): «نهیتکم عن زیارة القبور فزوروها»(۴) .

۵ ـ وروی فی کنز العمال الروایات التالیة: «السلام علیکم دار قوم مؤمنین وإنّا إن شاء الله بکم لاحقون. وددتُ أنّا قد أُرینا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانک؟ قال: بل أنتم أصحابی، وإخواننا الذین لم یأتوا بعد. إلخ»(۵).

۶ ـ «السلام علیکم یا أهل القبور من المؤمنین والمسلمین، یغفر

۱- مسلم، الصحیح ۷ : ۴۱.

۲- مسلم، الصحیح ۷ : ۴۴ ـ النسائی، السنن ۴ : ۹۱.

۳- مسلم، الصحیح ۷ : ۴۵.

۴- مسلم، الصحیح ۷ : ۴۶ ـ الترمذی، السنن ۳ : ۳۷۰ ح ۱۰۵۴ ـ النسائی، السنن ۴ : ۸۹.

۵- مسلم، الصحیح، کتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، الحدیث ۲۴۹.

ص: ۲۱

الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالاثر»(۱) .

۷ ـ «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا وإياكم متواعدون غداً ومتواكلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللّهم اغفر لاهل بقيع)الغرقد» (۲).

۸ ـ «السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط وإنّا بكم لاحقون، اللّهمّ لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم» (۳).

۹ ـ «إنّى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها بتذكيركم زيارتها خيراً» (۴).

۱۰ ـ «نهيتكم عن ثلاث وأنا آمركم بهنّ ;نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّ فى زيارتها تذكرة»(۵) . إلى غير ذلك من الاثار النبوية الحاثّة على زيارة القبور، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى كنز العمال.

۱- علاء الدين، كنز العمال ۱۵: ۲۴۷ الحديث ۴۲۵۶۱ و ۴۲۵۶۲.

۲- علاء الدين، كنز العمال ۱۵: ۲۴۷ الحديث ۴۲۵۶۱ و ۴۲۵۶۲.

۳- علاء الدين، كنز العمال ۱۵: ۲۴۸، الأحاديث ۴۲۵۶۳ و ۴۲۵۶۴ و ۴۲۵۶۵.

۴- علاء الدين، كنز العمال ۱۵: ۲۴۸، الأحاديث ۴۲۵۶۳ و ۴۲۵۶۴ و ۴۲۵۶۵.

۵- علاء الدين، كنز العمال ۱۵: ۲۴۸، الأحاديث ۴۲۵۶۳ و ۴۲۵۶۴ و ۴۲۵۶۵.

ص: ۲۲

۲ـ أعلام الاُمة و زيارة قبر النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله)

اشارة

إذا كانت زيارة قبور المسلمين من السنن التى دعا إليها النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) وعمل بها بمرأى ومسمع من نسائه وصحابته، فزيارة قبر سيد ولد آدم ومن اُنيطت إليه سعادة البشر أولى بها، لذا جرت سيرة المسلمين على زيارة قبره، وصرّح بها فقهاء الاُمة، وتضافرت السنّة على استحبابها.

ولنقدّم بعض الكلمات من أكابر الاُمة التى تعرب عن موقف المسلمين طيلة القرون تجاه المسألة، فقد قيّض سبحانه فى كلّ عصر رجالاً يجاهرون بالحقّ، وينفون غبار الباطل عن وجهه نذكر منهم شخصيتين كبيرتين من السنّة والشيعة:

۱ ـ الامام تقى الدين السبكى الشافعى المتوفّى سنة ۵۶۷ هـ عليه سحائب الرحمة والرضوان فقد خصّ فى كتابه «شفاء السقام فى زيارة

ص: ۲۳

خير الانام» باباً لنقل نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله، وقد بيّن أنّ الاستحباب أمر مجمع عليه بين المسلمين(۱)

.

۲ ـ العلاّمـة الكبير الامينى فى الغدير الجزء ۵ / ۱۰۹ ـ ۵۱۲، فقد اسـتدرك عليه بما لم يقف عليه الامام السـبكى، ونقل كلمات أعلام المذاهب الاربعة بما يتجاوز الاربعين كلمة. شكر الله مساعيهما.

وقـد راجعنـا أكثر المصـادر التى نقلاـ عنهـا حسب ماحضـرنا منهـا. واكتفينا بالنقل عنهما فى غيره، وأضـفنا بعض ما فات عنهما. ولعل المعثور عليه من الكلمات أقل مما لم يُعثر عليها.

كلمات أعلام المذاهب حول الزيارة

۱ ـ قـال أبو عبـد الله الحسـين بن الحسن الحليمى الجرجـانى الشـافعى (م/۴۰۳هـ) بعـد الحث على تعظيم النبىّ الاـكرم (صـلى الله عليه وآله): فأمّا اليوم فمن تعظيمه زيارته(۲) .

۲ ـ قال أبو الحسن أحمـد بن محمد المحاملى الشافعى (م/۴۲۵هـ): ويسـتحب للحاجّ إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله)(۳) .

۳ ـ قال القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى (م/۴۵۰هـ): ويستحب أن يزور النبى (صلى الله عليه وآله) بعد أن يحجّ ويعتمر(۴) .

۱– السبكى، شفاء السقام : ۶۵ ـ ۷۹ ونحن نغترف من هذا العين المعين ونذكر كلمات المحققين من أهل السنة حول زيارة النبى صلى الله عليه وآله.

۲– المنهاج فى شعب الايمان، كما فى شفاء السقام : ۶۵.

۳– التجريد، كما فى شفاء السقام : ۶۵.

۴– نقله عنه السبكى فى شفاء السقام : ۶۵.

ص: ۲۴

۴ ـ قال أقضـى القضاة أبو الحسن الماوردى (م/۴۵۰هـ): فإذا عاد (ولى الحاج) سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)ليجمع لهم بين حج بيت الله عزّ وجلّ وزيارة قبر رسول الله رعايـة لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الجميع المستحسنة(۱) .

وقال أيضاً فى كتابه الحاوى: أمّا زيارة قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) فمأمور بها ومندوب إليها(۲) .

۵ ـ حكى عبد الحقّ بن محمد الصـقلى (م/۴۶۶هـ) عن الشـيخ أبى عمران المالكى أنّ زيارة قبر النبى واجبـة، قال عبد الحقّ: يعنى من السنن الواجبة(۳) .

۶ ـ قال ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازى الفقيه الشافعى (م/۶۷۴هـ): ويستحب زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)(۴) .

۷ ـ وممّن بسط الكلام فى زيارة النبى الاكرم (صـلى الله عليه وآله) الامام الغزالى فى كتاب الحج من إحياء العلوم قال: الجملة العاشرة فى زيارة المدينـة وآدابها قال: من زارنى بعد وفاتى فكأنّما زارنى فى حياتى. وقال (صـلى الله عليه وآله): «من وجد سـعة ولم يَفِد إلىَّ فقد جفانى» إلى أن قال: فمن قصد زيارة المدينة فليصلّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على

۱- الاحكام السلطانية : ۱۰۹، دار الفكر، بيروت.

۲- الحاوى، كما فى شفاء السقام : ۶۵.

۳- تهذيب الطالب، كما فى شفاء السقام : ۶۸.

۴- المهذب فى فقه الامام الشافعى ۱ : ۲۳۳، دار الفكر، بيروت.

ص: ۲۵

حيطـان المدينـة وأشـجارها قـال: اللّهمّ هـذا حرم رسولک فاجعله لی وقايـة من النار وأماناً من العـذاب وسوء الحساب، ثم ذكر آداب الزيارة وصيغتها، كما ذكر زيارة الشـيخين وزيارة البقيع بمن فيها، كزيارة قبر عثمان وقبر الحسن بن علی، ثم قال: ويصـلی فی مسـجد فاطمة رضـی الله عنها ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله وقبر صـفيّة عمة رسول الله (صـلى الله عليه وآله)فذلک كلّه بالبقيع، ويستحب له أن يأتی مسجد قباء فی كلّ سبت ويصلّی فيه لما روی أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من خرج من بيته حتی يأتی مسجد قباء ويصلّی فيه كان له عدل عمرة»(۱) .

۸ ـ قـال أبو الخطاب محفوظ بن أحمـد الكلودانی الفقيه البغـدادی الحنبلی (م/۱۰۵هـ): وإذا فرغ من الحـج اسـتحبّ له زيارة قبر النبیّ (صلى الله عليه وآله)وقبر صاحبيه(۲) .

۹ ـ قال القاضـی عياض المالكی (م/۵۴۴هـ): وزيارة قبره (صـلى الله عليه وآله) سـنّة مجمع عليها وفضـيلة مرغّب فيها، ثم ذكر عدّة من أحاديث الباب فقال: قال إسـحاق بن إبراهيم الفقيه: وممّا لم يزل من شأن من حـج المزور(۳) بالمدينة والقصد إلى الصلاة فی مسجد رسول الله (صـلى الله عليه وآله) والتبرّک برؤيـة روضه ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يـديه ومواطن قـدميه والعمود الـذی اسـتند إليه ومنزل جبرئيل بالوحی فيه عليه(۴) .

۱- الغزالی، إحياء علوم الدين ۱ : ۳۰۵و۳۰۶.

۲- الهداية، كما فی شفاء السقام : ۶۶.

۳- قيل بكسر الميم وسكون الزاء وفتح الواو: مصدر ميمی بمعنی الزيارة.

۴- الشفاء ۲ : ۱۹۴ ـ ۱۹۷، ط دار الفيحاء، عمان.

ص: ۲۶

۱۰ ـ قال ابن هبیرة (م/۵۶۰هـ): اتّفق مالک والشافعی وأبو حنیفـة وأحمد بن حنبل ـ رحمهم الله تعالی ـ علی أنّ زیارة النبی (صـلی الله علیه وآله)مستحبة(۱) .

۱۱ ـ عقـد الحافظ ابـن الجـوزی الحنبلی (م/۹۷۵هـ) فی کتـابه بابـاً فی زیـارة قـبر النـبیّ (صـلی الله علیـه وآله) وذکر حـدیث ابن عمر وحدیث أنس اللَّذین سنذکرهما(۲) .

۱۲ ـ قـال أبو محمـد عبـد الکریم بن عطاء الله المالکی (م/۱۲۶هـ): إذا کمـل لـک حجّک وعمرتک علی الوجه المشـروع لم یبق بعد ذلک إلاّ إتیان مسـجد رسول الله (صـلی الله علیه وآله)للسـلام علی النبیّ (صـلی الله علیه وآله) والـدعاء عنده، والسـلام علی صاحبیه، والوصول إلی البقیع وزیارة ما فیه من قبور الصحابة والتابعین، والصلاة فی مسجد الرسول فلا ینبغی للقادر علی ذلک ترکه(۳) .

۱۳ ـ قـال أبو عبـد الله محمـد بن عبـد الله بن الحسـین بن أحمـد بن القـاسم بن إدریس السـامری الحنبلی (م/۶۱۶هـ): وإذا قـدم مدینة الرسول(صلی الله علیه وآله) استحبّ له أن یغتسل لدخولها. ثم ذکر أدب الزیارة وکیفیة السلام والدعاء والوداع(۴) .

۴۱ ـ قال الشیخ موفق الدین عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسی

۱- ابن الحاج، المدخل ۱ : ۲۵۶.

۲- مثیر العزام الساکن إلی أشرف الاماکن، کما فی شفاء السقام : ۶۷.

۳- المناسک، کما فی الغدیر ۵: ۱۱۰.

۴- المستوعب، کما فی شفاء السقام : ۶۷.

ص: ۲۷

الحنبلی (م/۶۲۰هـ): یستحب زیارة قبر النبیّ (صلی الله علیه وآله)، ثم ذکر حدیثی ابن عمر وأبی هریرة من طریق الدار قطنی وأحمد(۱) .

۱۵ ـ قال محی الدین النووی الشافعی (م/۶۷۷هـ): ویُسنُّ شرب ماء زمزم وزیارة قبر رسول الله (صلی الله علیه وآله) بعد فراغ الحج(۲) .

۱۶ ـ قال نجم الدین بن حمدان الحنبلی (م/۶۹۵هـ): ویسنّ لمن فرغ عن نسکه زیارة قبر النبی (صلی الله علیه وآله) وقبر صاحبیه رضی الله عنهما، وله ذلک بعد فراغ حجة وإن شاء قبل فراغه(۳) .

۱۷ ـ قال القاضی الحسین: إذا فرغ من الحجّ فالسنّة أن یقف بالملتزم ویدعو، ثم یشرب من ماء زمزم، ثم یأتی المدینة ویزور قبر النبی (صلی الله علیه وآله)(۴) .

۱۸ ـ قال القاضی أبو العباس أحمد السروجی الحنفی (م/۷۱۰هـ): إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مکّة فلیتوجّهوا إلی طیبة مدینة رسول الله (صلی الله علیه وآله) وزیارة قبره فإنّها من أنجح المساعی(۵) .

۱۹ ـ قال الامام القدوة ابن الحاج محمد بن محمد العبدری القیروانی المالکی (م/۷۳۸هـ) بعد أن ذکر لزوم وکیفیة زیارة الانبیاء والرسل ـ صلوات الله وسلامه علیهم أجمعین ـ والتوسّل بهم إلی الله تعالی وطلب الحوائج منهم قال: وأمّا فی زیارة سید الاولین والاخرین

۱- المغنی ۳ : ۵۸۸.

۲- المنهاج، المطبوع بهامش شرح المغنی ۱ : ۴۹۴ ـ کما فی الغدیر ۵ : ۱۱۱.

۳- الرعایة الکبری فی الفروع الحنبلیة، کما فی شفاء السقام : ۶۷.

۴- نقله السبکی فی شفاء السقام : ۶۶.

۵- الغایة، کما فی شفاء السقام : ۶۶.

ص: ۲۸

صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه، أعنى فى الانكسار والذلّ والمسكنة، لانّه الشافع المشفّع الذى لا تُردّ شفاعته، ولا ـ يُخيّب من قصده، ولا ـ من نزل بساحته، ولا ـ من استعان أو استغاث به، إذ أنّه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة ـ إلى أن قال ـ: فمن توسّل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه، فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والاثار، ويحتاج إلى الادب الكلّى فى زيارته عليه الصلاة والسلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنّ الزائر يشعر بنفسه بأنّه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو فى حياته(۱) .

۲۰ ـ وقال شمس الدين ابن قدامة الاندلسى: فإذا فرغ من الحج استحبّ زيارة قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله) وقبر صاحبيه ـ رضى الله عنهما ـ واستدلّ على ذلك بروايتى ابن عمر، وأبى هريرة(۲) .

۲۱ ـ قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى الحنبلى المقدسى: إنّ ابن تيمية ذكر فى مناسكه «باب زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله): إذا أشرف على مدينة النبىّ (صلى الله عليه وآله) قبل الحج أو بعده، فليقل ما تقدم: إذا دخل استحب له أن يغتسل، نصّ عليه الامام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال: بسم الله والصلاة على رسول الله، اللّهمّ اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك، ثم يأتى الروضة بين القبر والمنبر فيصلّى بها ويدعو بما شاء، ثم يأتى قبر النبىّ فيستقبل جدار القبر ولا

۱- ابن الحاج، المدخل ۱ : ۲۵۷.

۲- ابن قدامة، الشرح الكبير على المقنع ۳ : ۴۹۴.

ص: ۲۹

يمسّه ولايقبّله، ويجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبى، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر فى حياته بخشوع وسكون منتكس الرأس، غاض الطرف، متحضراً بقلبه جلالة موقفه ثم يقول:

السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يانبيّ الله وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيّد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغرّ المحجّلين، أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّك رسول الله، أشهد أنّك قد بلّغت رسالات ربك، ونصحت لاُمتك، ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ماجزى نبياً ورسولاً عن أُمته اللّهمّ آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً(۱) .

۲۲ ـ ألّف الشيخ تقى الدين السبكى الشافعى (م/۵۶۷هـ) كتاباً حافلاً فى زيارة النبيّ الاعظم (صلى الله عليه وآله) وأسماه «شفاء السقام فى زيارة خيرالانام» ردّاً على ابن تيمية، وممّا قال فيه: لاحاجة إلى تتبع كلام الاصحاب فى ذلك مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه. والحنفية قالوا: إنّ زيارة قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) من أفضل المندوبات والمستحبّات بل تقرب من درجة الواجبات، وممّن صرّح بذلك منهم أبو منصور محمد بن مكرم الكرمانى فى مناسكه، وعبد الله بن محمود

۱- عبد الهادى الحنبلى، الصارم المنكى فى الرد على السبكى : ۷، الطبعة الاُولى، القاهرة المطبعة الخيرية. ولو صحّ ما نقله يحمل على تبدلّ الاجتهاد والمعروف أنه نهى عن السفر للزيارة لا عن أصلها. وسيوافيك بعض شبهاته.

ص: ۳۰

بن بَلَدحی فی شرح «المختار» وفی فتاوی أبی اللیث السمرقندی فی باب أداء الحجّ(۱) .

ثم قال: وکیف یتخیّل فی أحد من السلف نهیهم من زیارة المصطفی (صلی الله علیه وآله) وهم مجمعون علی زیارة سائر الموتی، فالنبی (صلی الله علیه وآله)وسائر الانبیاء الذین ورد فیهم أنّهم أحیاء کیف یقال فیهم هذه المقالة(۲) وحکی عن القاضی عیاض وأبی زکریا النووی إجماع العلماء والمسلمین علی استحباب الزیارة(۳) .

وقال أیضاً: وإذا استحبّ زیارة قبر غیره (صلی الله علیه وآله) فقبره أولی لما له من الحق ووجوب التعظیم(۴) . ثم إنّه استدلّ فی الباب السادس علی أنّ السفر إلی الزیارة قربة بالکتاب والسنّة والاجماع ـ إلی أن قال ـ:

الرابع: الاجماع إطباق السلف والخلف، فإنّ الناس لم یزالوا فی کل عام إذا قضوا الحج یتوجّهون إلی زیارته (صلی الله علیه وآله)، فمنهم من یفعل ذلک قبل الحج، هکذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحکاه العلماء عن الاعصار القدیمة... ومن ادّعی أنّ هذا الجمع العظیم مجمعون علی الخطأ فهو المخطئ(۵) .

۲۳ ـ قال زین الدین أبو بکر بن الحسین بن عمر القریشی العثمانی المصری المراغی (م/۶۸۱هـ): وینبغی لکلّ مسلم اعتقاد کون

۱- السبکی، شفاء السقام : ۶۶، طبع دار الجیل.

۲- المصدر نفسه : ۷۹.

۳- المصدر نفسه : ۸۳.

۴- المصدر نفسه : ۸۴.

۵- المصدر نفسه : ۱۰۰.

ص: ۳۱

زيارته (صلى الله عليه وآله) قربة عظيمة، للاحاديث الواردة فى ذلك، ولقوله تعالى: (ولوْ أنَّهم إذْ ظَلموا أنفسَهُمْ جاءُوكَ فَاستغفَروا اللَّهَ واستغفَرَ لَهُمُ الرَّسولُ) الاية لانّ تعظيمه لاينقطع بموته(۱) .

۴۲ ـ قال السيد نور الدين السمهودى (م/۹۱۱هـ) بعد ذكر أحاديث الباب: وأمّا الاجماع، فأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، وقد اختلفوا فى النساء، وقد امتاز القبر الشريف بالادلة الخاصة به. قال السبكى: ولهذا أقول: إنّه لا فرق فى زيارته بين الرجال والنساء. وقال الجمال الريمى فى «التفقيه»: يستثنى من محل الخلاف قبر النبى (صلى الله عليه وآله)وصاحبيه ثم قال: وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهورى الكبير، وأضاف إليه قبور الاولياء والصالحين والشهداء(۲) .

۵۲ ـ قال الحافظ أبو العباس القسطلانى المصرى (م/۹۳۳هـ): إعلم أنّ زيارة قبره الشريف من أعظم القربات وأرجا الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام، وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسى كما ذكره فى «المدخل» عن «تهذيب الطالب» لعبد الحق: أنّها واجبة، قال: ولعلّه أراد وجوب السنن المؤكدة، وقال القاضى عياض: إنّها من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها...

۱– المواهب اللدنية للقسطلانى ۴ :۵۷۲ المكتب الاسلامى، بيروت. والاية من سورة النساء:۶۴.

۲– وفاء الوفا، المجلد الثانى ۴ : ۱۳۶۲، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت.

ص: ۳۲

ثم قال: وقد صحّ عن عمر بن عبد العزیز کان یبرد البرید للسلام علی النبیّ (صلی الله علیه وآله)فالسفر إلیه قربهٔ لعموم الادلهٔ، ومن نذر الزیارهٔ وجبت علیه کما جزم به ابن کج من أصحابنا، إلی أن قال: وللشیخ تقی الدین ابن تیمیهٔ هنا کلام شنیع عجیب یتضمن منع شدّ الرحال للزیارهٔ النبویهٔ وأنّه لیس من القرب بل یضد ذلک، ورد علیه الشیخ تقی الدین السبکی فی «شفاء السقام» فشفی صدور المؤمنین(۱) .

۶۲ ـ ذکر شیخ الاسلام أبو یحیی زکریا الانصاری الشافعی (م/۵۹۲هـ) فی باب مایستحب لمن حج وقال: ثم یزور قبر النبیّ (صلی الله علیه وآله)ویسلّم علیه وعلی صاحبیه بالمدینهٔ المشرّفهٔ(۲) .

۲۷ ـ قال ابن حجر الهیثمی المکی الشافعی (م/۹۷۳هـ) بعد ما استدلّ علی مشروعیهٔ زیارهٔ قبر النبی بعدهٔ أدلهٔ منها: الاجماع. فإن قلت: کیف تحکی الاجماع علی مشروعیهٔ الزیارهٔ والسفر إلیها وطلبها وابن تیمیهٔ من متأخری الحنابلهٔ منکر لمشروعیهٔ ذلک کلّه کما رآه السبکی فی خطه؟. وقد أطال ابن تیمیهٔ الاستدلال لذلک بما تمجّه الاسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمهٔ السفر لها إجماعاً وأنّه لاتقصَّر فیه الصلاهٔ، وأنّ جمیع الاحادیث الواردهٔ فیها موضوعهٔ، وتبعه بعض من تأخّر عنه من أهل مذهبه. قلت: من هو ابن تیمیهٔ؟ حتی ینظر إلیه أو یقول فی شیء من مورد الدین علیه، وهل هو إلاّ کما قال جماعهٔ من الائمهٔ الذین تعقّبوا کلماته الفاسدهٔ وحججه الکاسدهٔ حتی أظهروا عوار

۱- المواهب اللدنیهٔ ۴ : ۵۷۰ المکتب الاسلامی، بیروت.

۲- أسنی المطالب فی شرح روض الطالب ۱ : ۵۰۱.

ص: ۳۳

سقطاته، وقبائح أوهامه، وغلطاته كالعزّ بن جماعة: عبد أضلّه الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزى وأرداه، وبواه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان ولقد تصدّى شيخ الاسلام وعالم الانام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته، التقىّ السبكى ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ للردّ عليه فى تضيف مستقل أفاد فيه وأجاد، وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب ثم قال:

هذا ما وقع من ابن تيمية ممّا ذكر وإن كان عثرة لا تقال أبداً، ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً، وليس بعجب فإنّه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه أنّه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، ومادرى المحروم أنّه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم فى مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم لا سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة، شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الاقدس، المنزّه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة، على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات، ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً، ولا بأساً، بل ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءُوا بغضب من الله بما عصوا وكانوا يعتدون(۱) .

۱- الجوهر المنظّم فى زيارة القبر المكرّم : ۲۲، طبع سنة ۱۲۷۹ بمصر.

ص: ۳۴

ونقل حسن العدوی الحمزاوی عنه أیضاً ما هذه عبارته:

إعلم وفّقنی الله وإیاک لطاعته وفهم خصوصیات نبیّه (صلی الله علیه وآله)والمسارعة إلی مرضاته: أنّ زیارته (صلی الله علیه وآله) مشروعة مطلوبة بالکتاب والسنّة وإجماع الاُمة وبالقیاس ـ إلی أن قال ـ : وأمّا الاجماع فقد حکاه الامام السبکی قال: ولا عبرة بما تفرّد به ابن تیمیة وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه(۱) .

۲۸ ـ قال الشیخ محمد الخطیب الشربینی (م/۹۷۷هـ): أمّا زیارته(صلی الله علیه وآله) فمن أعظم القربات للرجال والنساء، وألحق الدمنهوری به قبور بقیة الانبیاء والصالحین والشهداء وهو ظاهر(۲) .

وقال فی موضع آخر بعد بیان مندوبیة زیارة قبره الشریف (صلی الله علیه وآله)وذکر جملة من أدلّتها: لیس المراد اختصاص أدب الزیارة بالحج فإنّها مندوبة مطلقاً بعد حجّ أو عمرة أو قبلهما أو لا مع نسک، بل المراد تأکّد الزیارة فیها(۳).

۲۹ ـ قال الشیخ زین الدین عبد الرؤوف المناوی (م/۱۰۳۱هـ): وزیارة قبره (صلی الله علیه وآله)الشریف من کمالات الحج، بل زیارته عند الصوفیة فرض وعندهم الهجرة إلی قبره کهی إلیه حیّاً(۴) .

وقال فی موضع آخر: إنّ أثر الزیارة إمّا الموت علی الاسلام مطلقاً

۱- حسن العدوی الحمزاوی، کنز المطالب : ۱۷۹ و ۱۸۱، الطبعة الحجریة.

۲- مغنی المحتاج ۱ : ۳۶، ط دار الفکر.

۳- المصدر نفسه ۱ : ۵۱۲.

۴- شرح الجامع الصغیر ۶ : ۱۶۰.

ص: ۳۵

لكل زائر، وإمّا شفاعة تخصّ الزائر أخص من العامة، وقوله: شفاعتى فى الاضافة إليه تشريف لها، إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون فللزائر نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظّم بعظم الزائر(۱) .

۳۰ ـ قال الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى: زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) من أفضل القربات وأحسن المستحبّات تقرب من درجة ما لزم من الواجبات، فإنّه (صلى الله عليه وآله) حرض عليها وبالغ فى الندب إليها. قال: «من وجد سعة فلم يزرنى فقد جفانى» وقال (صلى الله عليه وآله): «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». وقال (صلى الله عليه وآله): «من زارنى بعد مماتى فكأنّما زارنى فى حياتى» إلى أن قال: وممّا هو مقرر عند المحققين أنه (صلى الله عليه وآله) حىّ يُرزق ممتّع بجميع الملاذ والعبادات، غير أنّه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات(۲) .

۳۱ ـ وقال قاضى القضاة شهاب الدين الخفاجى الحنفى المصرى (م/۹۶۱۰هـ): واعلم أنّ هذا الحديث (شدّ الرجال إلى المساجد) هو الذى دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقالته الشنيعة التى كفروه بها، وصنف فيها السبكى مصنّفاً مستقلاً، وهى منعه من زيارة قبر النبى(صلى الله عليه وآله) وهو كما قيل:

لمهبط الوحى حقّاً ترحل النجب ... وعند ذاك المرجىّ ينتهى الطلب

فتوهم أنّه حمى جانب التوحيد بخرافات لاينبغى ذكرها فإنّها لا

۱– المصدر نفسه : ۹۳.

۲– مراقى الفلاح فى شرح متن نور الايضاح : ۲۹۲ ـ ۲۹۳، ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، مصر.

ص: ۳۶

تصدر عن عاقل فضلًا عن فاضل سامحه الله تعالی(۱).

۳۲ـ قال الشیخ عبد الرحمن شیخ زاده (م/۹۸۷هـ): من أحسن المندوبات، بل یقرب من درجة الواجبات زیارة قبر نبینا وسیدنا محمد(صلی الله علیه وآله) وقد حرّض (علیه السلام) علی زیارته وبالغ فی الندب إلیها(۲).

۳۳ـ قال الشیخ محمد بن علی بن محمد الحصنی المعروف بعلاء الدین الحصکفی الحنفی المفتی بدمشق (م/۱۰۸۸هـ): وزیارة قبره(صلی الله علیه وآله) مندوبة بل قیل واجبة لمن له سعة(۳).

۴۳ـ قال أبو عبد الله محمد بن عبد الباقی الزرقانی المالکی المصری (م/۱۱۳۲هـ): قد کانت زیارته مشهورة فی زمن کبار الصحابة معروفة بینهم، لمّا صالح عمر بن الخطاب أهل بیت المقدس جاءه کعب الاحبار فأسلم ففرح به وقال: هل لک أن تسیر معی إلی المدینة وتزور قبره (صلی الله علیه وآله) وتتمتّع بزیارته؟ قال: نعم(۴).

۵۳ـ قال أبو الحسن السندی محمد بن عبد الهادی الحنفی (م/۱۱۳۸هـ): قال الدمیری: فائدة زیارة النبیّ (صلی الله علیه وآله) من أفضل الطاعات وأعظم القربات لقوله (صلی الله علیه وآله): «من زار قبری وجبت له شفاعتی إلخ»(۵).

۶۳ـ قال محمد بن عبد الوهاب: تسنّ زیارة النبی (صلی الله علیه وآله) إلّا أنّه

۱- شرح الشفاء ۳ : ۵۶۶، طبع المطبعة العثمانیة در سعادت، سنة ۱۳۱۵.

۲- مجمع الانهر فی شرح ملتقی الابحر ۱ : ۳۱۲، ط دار إحیاء التراث العربی.

۳- الدر المختار فی شرح تنویر الابصار، آخر کتاب الحج : ۱۹۰، مطبعة الفتح الکریم، سنة ۱۳۰۲.

۴- شرح المواهب ۸ : ۲۹۹، الطبعة الاُولی بالمطبعة الاُولی الازهریة المصریة، سنة ۱۳۰۲.

۵- شرح سنن ابن ماجة ۲ : ۲۶۸، کما فی الغدیر ۵ : ۱۲۰.

ص: ۳۷

لايشدّ الرحال إلّا لزيارة المسجد والصلاة فيه(۱) .

۳۷ ـ قال الشيخ محمد بن على الشوكانى (م/۱۲۵۰هـ): قد اختلفت فيها (فى زيارة النبى (صلى الله عليه وآله)، أمّا أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنّها مندوبة، وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنّها واجبة، وقالت الحنفية: إنّها قريبة من الواجبات، وذهب ابن تيمية الحنبلى حفيد المصنّف المعروف بشيخ الاسلام إلى أنّها غير مشروعة. ثم فصل الكلام فى الاقوال، إلى أن قال وفى آخر كلامه: احتجّ أيضاً من قال بالمشروعية بأنّه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج فى جميع الازمان على تباين الديار واختلاف المذاهب، الوصول إلى المدينة المشرّفة لقصد زيارته، ويعدون ذلك من أفضل الاعمال، ولم ينقل أن أحداً أنكر ذلك عليهم فكان إجماعاً(۲) .

۳۸ ـ قال الشيخ محمد أمين ابن عابدين (م/۱۲۵۳هـ): زيارة النبى(صلى الله عليه وآله) مندوبة بإجماع المسلمين إلى ان قال: وهل تستحب زيارة قبره (صلى الله عليه وآله)للنساء؟ الصحيح، نعم، بلا كراهة بشروطها على ما صرّح به بعض العلماء، وأمّا على الاصح من مذهبنا وهو قول الكرخى وغيره من أنّ الرخصة فى زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً فلا إشكال، وأمّا على غيره فذلك نقول بالاستحباب لاطلاق الاصحاب(۳) .

۳۹ ـ قال الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت البيرونى

۱- الهدية السنية، الرسالة الثانية.

۲- نيل الاوطار ۴ : ۳۲۴.

۳- رد المحتار على الدر المختار ۵ : ۲۷۸.

ص: ۳۸

(م/۶۱۲۷هـ): زيارة النبى (صـلى الله عليه وآله) مطلوبـة لأنّه واسـطة الخلق، وزيارته بعد وفاته كالهجرة إليه فى حياته، ومن أنكرها فإن كان ذلك إنكاراً لها من أصلها فخطأُه عظيم، وإن كان لما يعرض من الجهلة ممّا لاينبغى فليبيّن ذلك(۱) .

۰۴ ـ قـال الشـيخ إبراهيم البـاجورى الشافعى (م/۱۲۷۷هـ): وتسنّ زيـارة قـبره (صـلى الله عليه وآله)ولو لغير حـاج ومعتمر كالـذى قبله، ويسنّ لمن قصـد المدنية الشـريفة لزيارته (صـلى الله عليه وآله) أن يكثرمن الصـلاة والسـلام عليه فى طريقه، ويزيد فى ذلك إذا رأى حرم المدينة وأشجارها، ويسأل الله أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبّلها منه. ثم ذكر جملة كثيرة من آداب الزيارة وألفاظها(۲) .

۱۴ ـ قال الشيخ حسن العدوى الحمراوى الشافعى (م/۱۳۰۳هـ)، بعد نقل جملة من الاحاديث الواردة فى أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) يسـمع سـلام زائريه ويرد عليهم: إذا علمت ذلك علمت أنّ ردّه (صـلى الله عليه وآله) سـلام الزائر عليه بنفسه الكريمة (صـلى الله عليه وآله) أمر واقع لا شكّ فيه، وإنّما الخلاف فى ردّه على المسـلِّم عليه من غير الزائرين. فهـذه فضـيلة عظيمة ينالها الزائرون لقبره (صـلى الله عليه وآله)فيجمع الله لهم بين سـماع رسول الله (صـلى الله عليه وآله)لاصواتهم من غير واسـطة وبين ردّه عليهم سلامهم بنفسه، فأنّى لمن سمع بهذين بل بأحدهما أن يتأخّر عن زيارته (صلى الله عليه وآله)؟ أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول فى حضرته (صلى الله عليه وآله) تالله

۱- التعليق على «حسن الاثر» : ۲۴۶ ـ كما فى الغدير ۵ : ۱۲۱.

۲- حاشية على شرح ابن الغزى على متن الشيخ أبى شجاع فى الفقه الشافعى ۱ : ۳۴۷ ـ كما فى الغدير ۵ : ۱۲۲.

ص: ۳۹

ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه إلاّ من حق عليه البعد من الخيرات، والطرد عن مواسم أعظم القربات، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنّه وكرمه آمين. وعلم من تلك الاحاديث أيضاً أنّه (صلى الله عليه وآله) حيّ على الدوام، إذ من المحال العادى أن يخلو الوجود كلّه من واحد يسلّم عليه فى ليل أو نهار، فنحن نؤمن ونصدق بأنّه (صلى الله عليه وآله) حيّ يرزق، وأنّ جسده الشريف لا تأكله الارض، وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاجماع على)هذا"(۱)

۲۴ ـ قال السيد محمد بن عبد الله الجردانى الدمياطى الشافعى (م/۱۳۰۷هـ): زيارة قبره (صلى الله عليه وآله) من أعظم الطاعات وأفضل القربات حتى أنّ بعضهم جرى على أنها واجبة فينبغى أن يحرّض عليها، وليحذّر كل الحذر من التخلّف عنها مع القدرة وخصوصاً بعد حجة الاسلام لانّ حقّه (صلى الله عليه وآله) على أُمته عظيم، ولو أنّ أحدهم يجىء على رأسه أو بصره من أبعد موضع من الارض لزيارته (صلى الله عليه وآله) لم يقم بالحق الذى عليه لنبيه جزاه الله عن المسلمين أتم الجزاء.

ويسنّ لمن قصد المدينة الشريفة (إلخ) ثم فصل القول فى آداب الزيارة وذكر التسليم على الشيخين وزيارة السيدة فاطمة وأهل البقيع والمزارات المشهورة وهى نحو ثلاثين موضعاً كما قال وما أحسن ما قيل:

هنيئاً لمن زار خير الورى ... وحطّ عن النفس أوزارها

۱- كنز المطالب : ۱۹۵، الطبعة الحجرية.

ص: ۴۰

فإنّ السعادة مضمونة ... لمن حلّ طيبة أو زارها(۱)

۳۴ ـ قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ على الفاخورى مفتى بيروت: الفصل الثانى عشر فى زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) وهى متأكّدة مطلوبة ومستحبة محبوبة، وتسنّ زيارته فى المدينة كزيارته حيّاً وهو فى حجرته حىّ يرد على من سلّم عليه السلام، وهى من أنجح المساعى وأهمّ القربات وأفضل الاعمال وأزكى العبادات، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». ومعنى «وجبت» ثبت بالوعد الصادق الذى لابدّ من وقوعه وحصوله، وتحصل الزيارة فى أىّ وقت وكونها بعد تمام الحج أحب، يجب على من أراد الزيارة التوبة من كل شىء يخالف طريقه وسنته (صلى الله عليه وآله) إلى أن قال: ويستحب التبرك بالاسطوانات التى لها فضل، وشرف وهى ثمانية: اسطوانة محل صلاته (صلى الله عليه وآله)، واسطوانة عائشة (رض). وتسمى اسطوانة القرعة، واسطوانة التوبة محل اعتكافه (صلى الله عليه وآله)، واسطوانة السرير، واسطوانة علىّ (رضى الله عنه) واسطوانة الوفود، واسطوانة جبرئيل (عليه السلام)، واسطوانة التهجّد(۲) .

۴۴ ـ قال الشيخ عبد المعطى السقّا: فى زيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله) إذا أراد الحاج أو المعتمر الانصراف من مكة ـ أدام الله تشريفها وتعظيمها ـ طلب منه أن يتوجّه إلى المدينة المنوّرة للفوز بزيارته عليه الصلاة والسلام فإنّها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعى المشكورة، ولايختص طلب الزيارة بالحاج غير أنّها فى حقّه آكد،

۱- مصباح الظلام ۲ : ۱۴۵ ـ كما فى الغدير ۵ : ۱۲۳.

۲- الكفاية لذوى العناية : ۱۲۵ ـ كما فى الغدير ۵ : ۱۲۳.

ص: ۴۱

والاولى تقديم الزيارة على الحج إذا اتّسع الوقت فإنّه ربما يعوقه عنه عائق...(۱) .

۴۵ ـ قال الشيخ محمد زاهد الكوثرى: والاحاديث فى زيارته(صلى الله عليه وآله)فى الغاية من الكثرة، وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائى فى جزء، وعلى العمل بموجبها استمرت الاُمة إلى أن شذّ ابن تيمية عن جماعة المسلمين فى ذلک، قال على القارئ فى شرح «الشفاء»: وقد أفرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله)كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعل الثانى أقرب إلى الصواب لانّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لانّه فوق تحريم المباح المتّفق عليه(۲) .

۴۶ ـ قال فقهاء المذاهب الاربعة المصريين فى (الفقه على المذاهب الاربعة): زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله) أفضل المندوبات، وقد ورد فيها أحاديث. ثم ذكروا أحاديث ستة وجملة من أدب السرائر وزيارة النبى (صلى الله عليه وآله) واُخرى للشيخين(۳) .

۷۴ ـ قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز إجابة عن الاسئلة حول زيارة المسجد النبوى: الزيارة للمسجد النبوى سنّة وليست واجبة ـ إلى أن قال ـ : وإذا زار المسجد النبوى شرع له أن يصلى فى الروضة

۱- الارشادات السنية : ۲۶۰ ـ كما فى الغدير ۵ : ۱۲۳.

۲- الكوثرى، تكملة السيف الصقيل : ۱۵۶، ط دمشق.

۳- الفقه على المذاهب الاربعة ۱ : ۵۹۰.

ص: ۴۲

ركعتين ثم يسلّم على النبى (صلى الله عليه وآله) وعلى صاحبيه أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما)، كما يشرع له زيارة البقيع والشهداء بالسلام على المدفونين هناك من الصحابة وغيرهم، والدعاء لهم والترحّم عليهم، كما كان النبىّ(صلى الله عليه وآله) يزورهم وكان يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم أهل الدار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية. وفى رواية عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه كان يقول إذا زار البقيع: «يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، اللّهم اغفر لاهل بقيع الغرقد» ويشرع أيضاً لمن زار المسجد النبوى أن يزور مسجد قباء ويصلّى فيه ركعتين لانّ النبى (صلى الله عليه وآله) كان يزوره كل سبت ويصلّى فيه ركعتين إلى آخر ما قال(۱) .

وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته

وهو السميع العليم

۱- جريدة الجزيرة المؤرخة: يوم الجمعة ۲۴ ذو القعدة ۱۴۱۱، العدد ۶۸۲۶.

ص: ۴۳

۳ـ زیارهٔ النبیّ الاکرم (صلی الله علیه وآله) فی الکتاب العزیز

أمر القرآن الکریم المسلمین بالحضور عند رسول الله (صلی الله علیه وآله)لیستغفر لهم الله، لانّ دعاءه یستجاب فیهم، قال عزّ وجلّ:
(ولو أنَّهم إذْ ظَلَمُوا أنفسَهُم جاءُوکَ فَاستغفَرُوا اللهَ واستغفَرَ لهُمُ الرَّسولُ لَوجَدوا اللهَ تَوّاباً رَحیماً) (النساء/۶۴).

قال الامام السبکی: «دلّت الایهٔ علی الحث علی المجیء إلی الرسول (صلی الله علیه وآله)والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وذلک وإن کان ورد فی حال الحیاهٔ، فهی رتبهٔ له لاتنقطع بموته تعظیماً له»(۱) .

ثم إنّه بسط الکلام فی دلالهٔ الایهٔ علی شمولیهٔ المجیء إلی الرسول (صلی الله علیه وآله) بعد موته، فمن أراد فلیراجع إلیه، غیر أنّا نستدلّ بالایهٔ

۱- الامام السبکی، شفاء السقام : ۸۱.

ص: ۴۴

بوجه آخر ونقول:

لو کانت هذه الآیة هی الوحیدة فی هذا المجال، لذهبنا إلی القول بأنّها خاصّة بحیاة رسول الله (صلی الله علیه وآله) ومدة تواجده بین الناس، ولکنّنا نستخلص منها حکماً عامّاً شاملاً لایختص بالحیاة الدنیویة وذلک من خلال ما یلی:

أوّلاً:

إنّ القرآن الکریم یصرّح بحیاة الانبیاء والاولیاء ـ وجماعات أُخری ـ فی البرزخ ویعتبرهم مبصرین وسامعین فی ذلک العالم.

ثانیاً:

إنّ الاحادیث الشریفة تصرّح بأنّ الملائکة تبلغ خاتم الانبیاء (صلی الله علیه وآله) سلام من یسلّم علیه، فقد جاء فی الصحاح:

«إنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) قال: ما من أحد یسلّم علیَّ إلاّ ردّ الله علیَّ روحی حتی أردَّ علیه السلام»(۱) .

وقال (صلی الله علیه وآله): «صلّوا علیّ فإنّ صلاتکم تبلغنی حیث ما کنتم»(۲) .

ثالثاً:

إنّ المسلمین ـ منذ ذلک الیوم ـ فهموا من هذه الآیة معنی مطلقاً لاینتهی بموت رسول الله (صلی الله علیه وآله) حتی أنّ بعض الاعراب ـ بوحی من أذهانهم الخالصة من کل شائبة ـ کانوا یقصدون قبر رسول الله (صلی الله علیه وآله)ویزورونه ویتلون هذه الآیة عند قبره المطهّر ویطلبون منه الاستغفار لهم.

وقد ذکر تقیّ الدین السبکی فی کتاب «شفاء السقام»

۱– سنن أبی داود ۱ : ۴۷۰و۴۷۱، کتاب الحج، باب زیارة القبور.

۲– الشیخ منصور علی ناصف، التاج الجامع للأُصول فی أحادیث الرسول ۲ : ۱۸۹.

ص: ۴۵

والسمهودى فى كتاب «وفاء الوفا» نماذج من زيارة المسلمين لقبر رسول الله وتلاوة هذه الاية عند قبره الشريف، وفيما يلى نذكر بعض تلك النماذج:

روى سفيان بن عنبر عن العتبى ـ وكلاهما من مشايخ الشافعى وأساتذته ـ أنّه قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء أعرابىّ فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: (ولو أنَّهم إذْ ظَلموا أنفسَهُم جاءُوكَ فَاستغفَرُوا اللّهَ واستغفَرَ لهُمُ الرَّسولُ لَوجَدوا اللّهَ تَوّاباً رَحيما) وقد جئتك مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بك إلى ربّى». ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خيرَ من دفنت فى القاع أعظمه ... فطاب من طيبهنّ القاعُ والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف(۱) .

ويروى أبو سعيد السمعانى عن الامام علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) انّ أعرابياً جاء بعد ثلاثة أيام من دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا من ترابه على رأسه وقال: «يارسول الله قلتَ فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: (ولو أنَّهم إذْ ظَلموا أنفسَهُم...) وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى إلى

۱- وفاء الوفا ۴ : ۱۳۶۱ ـ أحمد زينى دحلان، الدرر السنّية : ۲۱.

ص: ۴۶

ربّى(۱) .

إنّ كل هذا يدل على أنّ المنزلة الرفيعة التى منحها الله تعالى لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله) كما صرّحت بها هذه الاية ليست خاصّة بحياته، بل تؤكّد على أنّها ثابتة له بعد وفاته أيضاً.

وبصورة عامّة... يَعتبر المسلمون كلّ الايات النازلة فى تعظيم رسول الله واحترامه، عامّة لحياته وبعد مماته، وليس هناك من يُخصِّصها بحياته (صلى الله عليه وآله).

وقد جاء فى التاريخ: لمّا استُشهد الامام الحسن بن علىّ (عليهما السلام)وجىء بجثمانه الطاهر إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ظنّ بنو أُمية أنّ بنى هاشم يريدون دفن الامام بجوار قبر جدّه المصطفى فأثاروا الفتنة والضجّة للحيلولة دون ذلك، فتلا الامام الحسين (عليه السلام)قوله تعالى: (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَرفَعُوا أصواتَكُمْ فَوقَ صَوتِ النَّبِىِّ) (الحجرات/۲).

ولم يردَّ عليه أحد ـ حتى من الامويين ـ بأن هذه الاية خاصة بحياة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

واليوم نصب المسلمون هذه الاية على الجدار المقابل لقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهم يقصدون بذلك المنع من رفع الاصوات هناك.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نستنتج من الاية معنىً واسعاً عامّاً، وهو أنّ للمسلمين اليوم أن يَقِفوا أمام قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)ويسألوه أن يستغفر الله لهم.

۱- ابن حجر، الجوهر المنظم، وذكره السمهودى فى وفاء الوفا ۲ : ۶۱۲، وزينى دحلان فى الدرر السنية : ۲۱.

ص: ۴۷

وليس لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) معنى سوى ما تضمّنته هذه الاية وأمثالها، فانها تدلّ على موضوعين هما:

۱ ـ إنّ للانسان أن يقف عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته ويسأله أن يستغفر الله له.

۲ ـ إنّ هذه الاية تشهد على جواز زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لانّ حقيقة الزيارة لا تعنى سوى «حضور الزائر عند المزور»

فإذا كان الوقوف عند قبر النبى وسؤاله أن يستغفر الله له جائزاً فقد تحقق أمران:

أ ـ سألناه أن يستغفر الله لنا.

ب ـ حضرنا عنده وتحدّثنا إليه، والزيارة ليست إلاّ هذا.

ص: ۴۸

۴ـ زيارة النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) فى السنّة النبوية

اشارة

تضافرت السـنّة على استحباب زيارة قبر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله حيث رواها أئمة المذاهب الأربعة وأصحاب السنن والمسانيد فى كتبهم. ولمّا ظهرت بدعة التشكيك فى زيارة النبىّ الأكرم قام الإمام تقى الدين السبكى (م/ ۷۵۴ ه) بجمع ما رواه الحفّاظ فى هذا المجال فبلغت خمسة عشر حديثاً، وقد صحّح كثيراً من أسانيدها بما كان له من اطّلاع واسع فى مجال رجال الحديث (۱).

وممّن قـام بنفس العمـل الحافـظ نور الـدين على بن أحمـد السـمهودى فى كتـابه «وفاء الوفا باخبار دار المصـطفى» (م/ ۹۱۱ ه) حيث أحصى سبعة عشر حديثاً غير ما ورد فى ذلك المجال، ولم يشتمل على لفظ «الزيارة» (۲).

۱- السبكى، شفاء السقام فى زيارة خير الأنام، الباب الأول ۵- ۳۹.

۲- السمهودى، وفاء الوفا ۴: ۱۳۳۶- ۱۳۴۸، الباب الثانى.

ص: ۴۹

وقد قام بنفس ما قام به الإمام السبکی من تصحیحٍ للاسناد وذِکر لمصادر الروایات علی وجه بدیع.

من جهـة أُخری قام الکاتب الإسـلامی الشـیخ محمد الفقی، من علماء الأزهر الشـریف، بجمع ما ورد فی زیارة النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله من غیر تحقیق للاسناد بل مجرد النقل فبلغ اثنین وعشرین حدیثاً (۱).

وبذل المجاهد الکبیر الشـیخ الأمینی جهداً کبیراً فی العثور علی مظانّ الروایات فی کتب الحدیث والتفسـیر والتاریخ، وربما نقل بعض الأحادیث، کالحدیث الأول، عن واحد وأربعین مصدراً.

والأحادیث التی سنسـردها علی صـفحات هـذه الرسالـة من الکثرة ما یغنینا عن التحقیق فی أسانیدها ورواتها حیث سـجّلها الحفّاظ فی کتبهم وصـحاحهم، وهی بمجموعها کافیة للحکم باستحبابها، ولأجل ذلک سنکتفی بذکر متون الأحادیث مجرّدة عن الاسناد وما دار حول رواتها من کلام للرجالیین، تارکین کل ذلک إلی کتاب شـفاء السـقام للإمام السبکی وسنذکر بعض المصادر لکل حدیث دون الاستیعاب لجمیعها.

الحدیث الأول:

روی الدار قطنی فی سننه بسنده إلی ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» (۲).

ورواه البیهقی أیضاً فی سننه (۳)، والماوردی: فی الأحکام

۱- الفقی، التوسل والزیارة فی الشریعة الإسلامیة: ۴۸- ۵۰.

۲- الدار قطنی، السنن ۲: ۲۷۸، باب المواقیت، الحدیث ۱۹۴، ط دار المحاسن، القاهرة.

۳- البیهقی، السنن ۵: ۲۴۵.

ص: ۵۰

السلطانية (۱).

إلی غير ذلک من الحفّاظ الذين نقلوه فی کتبهم (۲).

الحديث الثانی: روی الطبرانی فی المعجم الکبير (۳)، والغزالی فی إحياء العلوم (۴)، عن عبد اللَّه بن عمر مرفوعاً عن النبی صلی الله عليه و آله: «من جاءنی زائراً لا تَحمِلُه حاجة إلّازيارتی کان حقّاً علیّ أن أکون له شفيعاً يوم القيامة».

الحديث الثالث: أخرج الدار قطنی عن عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه صلی الله عليه و آله: «من حجَّ فزار قبری بعد وفاتی، فکأنّما زارنی فی حياتی» (۵).

وأخرجه الحافظ أبو بکر البيهقی فی سننه (۶) ورواه الإمام السبکی فی شفاء السقام (۷) والسمهودی فی وفاء الوفا (۸).

۱- أبو الحسن الماوردی، الأحکام السلطانية: ۱۰۵.

۲- أخرجه العلّامة الأمينی عن واحد وأربعين مصدراً حديثياً وفقهياً- أُنظر: الغدير ۵: ۹۳- ۹۶.

۳- الطبرانی، المعجم الکبير.

۴- الغزالی، إحياء العلوم ۱: ۳۰۶، وفيه «لا يهمّه إلّازيارتی» مکان قوله: «لاتحمله»- وقدنقله الإمام السبکی، فی شفاء السقام: ۱۶- والسمهودی، فی وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۰- ونقله العلّامة الأمينی عن ستة عشر مصدراً حديثياً وفقهياً فی الغدير ۵: ۹۷ و ۹۸.

۵- الدار قطنی، السنن ۷: ۲۷۸، باب المواقيت، الحديث ۱۹۲.

۶- البيهقی، السنن ۵: ۲۴۶.

۷- السبکی، شفاء السقام: ۲۱.

۸- السمهودی، وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۰- ورواه العلّامة الأمينی عن خمسة وعشرين مصدراً فی الغدير ۵: ۹۸- ۱۰۰.

ص: ۵۱

الحديث الرابع: أخرج الدار قطنى عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى بعد موتى، فكأنّما زارنى فى حياتى، ومن مات بأحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة» (۱).

الحديث الخامس: أخرج البيهقى فى سننه قال:

روى ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى (أو من زارنى) كنت له شفيعاً (أو شهيداً)» (۲).

الحديث السادس: أخرج الحافظ ابن عدى (م/ ۳۶۵ ه) فى كتابه الكامل عن عبد اللّه بن عمر أنّه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من حجّ البيت ولم يزرنى فقد جفانى» (۳).

الحديث السابع: روى عن أنس بن مالك أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً» (۴).

الحديث الثامن: روى أنس بن مالك أنّه قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى ميتاً فكأنّما زارنى حيّاً، ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة، وما من أحد من أُمتى له سعة ثم لم يزرنى، فليس له عذر» (۵).

۱- الدار قطنى، السنن ۲: ۲۷۸، باب المواقيت، الحديث ۱۹۳- ورواه الإمام السبكى فى شفاء السقام: ۲۳۳- والسمهودى، فى وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۴- ونقله العلّامة الأمينى فى الغدير ۵: ۱۰۱، عن ثلاثة عشر مصدراً حديثياً.

۲- البيهقى، السنن الكبرى ۵: ۲۴۵- ورواه الإمام السبكى، فى شفاء السقام: ۲۹- والسمهودى، فى وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۲. وقال: أخرجه الدار قطنى فى السنن.

۳- الإمام السبكى، شفاء السقام: ۲۷- ونقله السمهودى، فى وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۲- وقد ذكر اسناد ابن عدى إلى ابن عمر، ونقله العلّامة الأمينى عن مصادر تسعة فى الغدير ۵: ۱۰۰.

۴- رواه الإمام السبكى فى شفاء السقام بسنده إلى أنس بن مالك: ۳۵- كما رواه السمهودى فى وفاء الوفا عن ابن أبى الدنيا بسنده إلى أنس ۴: ۱۳۴۵- ورواه العلامة الأمينى عن واحد وعشرين مصدراً، الغدير ۵: ۱۰۲ و ۱۰۳.

۵- السبكى، شفاء السقام: ۳۷- وأخرجه السمهودى عن كتاب ابن النجار فى أخبار المدينة بسنده عن أنس ۴: ۱۳۴۵- ونقله العلّامة الأمينى عن مصادر ستة فى الغدير ۵: ۱۰۴.

ص: ۵۲

الحدیث التاسع: روی علقمة عن عبد اللّه بن عمر رضـی الله عنه قال: قال رسول‌اللّه صـلی الله علیه و آله: «من حجّ حجّة الإسلام وزار قبری وغزا عزوة وصلّی علیّ فی بیت المقدس لم یسأله اللّه عزّ وجلّ فیما افترض علیه» (۱).

الحدیث العاشر: أخرج الفردوس فی مسنده عن ابن عباس أنّه قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من حجّ إلی مکّة ثم قصدنی فی مسجدی کُتِبت له حجّتان مبرورتان» (۲).

*** واکتفینا بهذا العدد من الروایات ومن أراد التفصیل فعلیه الرجوع إلی المصادر، وبما أنّ الشیخ محمد الفقی قد جمع متون الروایات بشکل موجز نذکر ما جمعه وإن مضی ذکر قسم منها:

تجرید المتون عن الأسانید

ویستحبّ زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله لما روی الدار قطنی باسناده عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من حجّ فزار قبری بعد وفاتی فکأنما زارنی فی حیاتی» وفی روایة: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» رواه باللفظ الأوّل سعید، ثنا حفص بن سلیمان، عن لیث، عن مجاهد، عن ابن عمر. وقال أحمد فی روایة عبد اللّه بن یزید بن قسیط عن أبی هریرة: إنّ النبی صلی الله علیه و آله قال: «ما من أحد یسلّم علیّ عند قبری إلّاردّ اللّهُ علیّ روحی

۱- السبکی، شفاء السقام: ۳۰۳، عن کتاب الفوائد لأبی الفتح الأزدی- وأخرجه السمهودی، فی وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۴- والعلامة الأمینی فی غدیره ۵: ۱۰۲ عن مصادر خمسة.

۲- السمهودی، وفاء الوفا ۴: ۱۳۴۷- ورواه الشوکانی فی نیل الأوطار ۴: ۳۲۶.

ص: ۵۳

حتی أرد علیه السلام» رواه أبو داود بدون زیادة «عند قبری».

فإقراره للزیارة وتقریره لها اعتراف بالغ الأهمیة باستحبابها وروعة الترغیب فیها، وانتصار للحقّ ووقوف بجانبه، ولا یمکن أن یوصف ذلک الإمام بالتحیّز، ولاینبغی أن یرمی بضعف التقدیر، إذ إنّ إقراره ذلک یتّفق تماماً مع هدی الدین والرسائل السماویة والأحادیث النبویة المتعددة الطرق المختلفة الأسانید، والتی ندعها وحدها تتکلم عن مدی تقدیر الزیارة وعظم اهتمام الشارع بها، وما تتجلّی عنه من مزایا واسعة الآفاق کبیرة النوال:

۱- عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» رواه ابن خزیمة فی صحیحه.

۲- وعن أنس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی فی قبری حلّت له شفاعتی یوم القیامة» رواه ابن أبی الدنیا.

۳- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زار قبری حلّت له شفاعتی یوم القیامة» رواه الدار قطنی.

۴- وعن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی فی مماتی کان کمن زارنی فی حیاتی» رواه العقیلی.

۵- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی بالمدینة بعد موتی کنت له شفیعاً یوم القیامة» رواه أبو داود الطیالسی.

۶- وعن أبی هریرة قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی بعد موتی فکأنما زارنی وأنا حیّ» رواه الحافظ سعید بن محمد.

۷- وعن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی حتی

ص: ۵۴

ینتهی إلی قبری کنت له یوم القیامهٔ شهیداً أو شفیعاً» رواه العقیلی.

۸- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من جاءنی زائراً لا تعلم لهحاجهٔ إلّازیارتی کان حقّاً علیّ أن أکون له شفیعاً» رواه الدارقطنی.

۹- وعن بکر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من أتی المدینهٔ زائراً إلیَّ وجبت له شفاعتی یوم القیامهٔ» رواه یحیی بن حسین.

۱۰- وعن أبی هریرهٔ قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی کنت له شهیداً وشفیعاً یوم القیامهٔ» رواه ابن مردویه.

۱۱- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی بالمدینهٔ محتسباً کنت له شهیداً وشفیعاً یوم القیامهٔ» رواه أبو عوانهٔ.

۱۲- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من زارنی بعد وفاتی فکأنّما زارنی فی حیاتی» رواه ابن عدی.

۱۳- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» رواه ابن النجار.

۱۴- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من جاءنی زائراً لا تعمده حاجهٔ إلّازیارتی کان حقّاً علیَّ أن أکون له شفیعاً أو شهیداً یوم القیامهٔ» رواه الطبرانی.

۱۵- وعن ابن عباس عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من حجّ إلی مکّهٔ ثم قصدنی فی مسجدی کُتِبَت له حجّتان مبرورتان» رواه الدیلمی فی مسند الفردوس.

۱۶- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من جاءنی زائراً لا یهمّه إلّازیارتی کان حقّاً علی اللّه أن أکون له شفیعاً یوم القیامهٔ» رواه

ص: ۵۵

الطبرانی وصحّحه ابن السکن.

۱۷- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «ما من أحد من أُمّتی له سعهٔ ثم لم یزرنی فلیس له عذر» رواه ابن النجار.

۱۸- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من وجد سعهٔ ولم یفد إلیّ فقد جفانی» رواه ابن حبّان.

۱۹- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «لا عذر لمن کان له سعهٔ من أُمتی أن لا یزورنی» رواه ابن عساکر.

۲۰- وعن ابن عمر: «من حج وزار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی» رواه سعید بن منصور.

۲۱- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من حجّ ولم یزر قبری فقد جفانی» رواه ابن عساکر.

۲۲- وعن ابن عمر: «قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من حج البیت ولم یزرنی فقد جفانی» رواه ابن عدی بسند حسن (۱).

زیارهٔ النبیّ الأكرم فی حدیث العترهٔ

تضافر الحدیث عن العترهٔ الطاهرهٔ حول زیارهٔ قبر النبیّ الاکرم(صلی الله علیه وآله)نقتبس منه ما یلی:

۱ ـ روی الحمیری (م/۲۹۹هـ) عن هـارون، عن ابن صدقـهٔ عن الصـادق عن أبیه الباقر (علیهما السـلام) أنّ النبی (صـلی الله علیه وآله) قال: «من زارنی حیّاً ومیّتاً، کنت

۱- محمد الفقی، التوسل والزیارهٔ فی الشریعهٔ الإسلامیهٔ: ۴۸ و ۴۹.

ص: ۵۶

له شفيعاً يوم القيامة»(۱) .

۲ ـ روى الصدوق (م/۶۳۰ـ۳۸۱هـ) بسنده عن الامام عليّ (صلوات الله عليه): «أتمّوا برسول الله حجّكم، إذا خرجتم إلى بيت الله، فإنّ تركه جفاء وبذلك أُمرتم، وأتمّوا بالقبور التى ألزمكم الله زيارتها وحقّها»(۲) .

۳ ـ روى الصدوق بسنده عن الامام الرضا (عليه السلام) أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «من زارنى فى حياتى وبعد موتى فقد زار الله تعالى...»(۳) .

۴ ـ روى الصدوق عن إبراهيم بن أبى حجر الاسلمى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن جاءنى زائراً وجبت له شفاعتى، ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة»(۴) .

۵ ـ روى ابن قولويه (م/۹۶۳هـ) عن أبى حجر الاسلمى قال: قال رسول الله (وذكر مثل ماسبق وزاد فى آخره) «ومن مات فى أحد الحرمين ـ مكّة أو المدينة ـ لم يعرض إلى الحساب ومات مهاجراً إلى الله وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»(۵)

۶ ـ روى الصدوق بسنده عن المعلى بن شهاب عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: قال الحسن بن عليّ (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبتاه ما جزاء

۱- الحميرى، قرب الاسناد : ۳۱ ـ والمجلسى، البحار ۹۷ : ۱۳۹.

۲- الصدوق، الخصال ۲ : ۴۰۶ ـ المجلسى، البحار ۹۷ : ۱۳۹.

۳- الصدوق، عيون أخبار الرضا ۱ : ۱۱۵ ـ المجلسى، البحار ۹۷ : ۱۴۰.

۴- الصدوق، علل الشرائع : ۴۶۰ ـ المجلسى، البحار ۹۷ : ۱۴۰.

۵- ابن قولويه، كامل الزيارات : ۴۶۰ ـ المجلسى، البحار ۹۷ : ۱۴۰.

ص: ۵۷

من زارك؟ فقـال رسول الله (صـلى الله عليه وآله): يـابنى: من زارنى حيـاً أو ميّتـاً أو زار أبـاك أو أخاك أو زارك كان حقّاً علىَّ أن أزوره يوم القيامة فأُخلِّصه من ذنوبه(۱) .

۷ـ روى ابن قولويه بسـنده عن الامام الصادق (عليه السـلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أتانى زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»(۲) .

۸ـ روى ابن قولويه عن ابن أبى نجران قال: قلت لابى جعفر الثانى (الامام الجواد (عليه السـلام) : جعلت فداك، ما لمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله)متعمّداً؟ قال: «له الجنّة»(۳) .

۹ـ روى ابـن قولـويه باسـناده عن عبـد الله بن الحسن عن أبيه عن علىّ بن أبى طـالب قـال: «قـال رسـول الله (صـلى الله عليه وآله): من زارنى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وكنت له شهيداً أو شافعاً يوم القيامة»(۴).

۱۰ـ روى ابن قولويه بسـنده عن على بن الحسين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من زار قبرى بعد موتى كان كمن هاجر إلىَّ فى حياتى، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إلىَّ بالسلام فإنّه يبلغنى»(۵) .

نكتفى بهـذا القـدر من الروايـات، وبهـذا يتضـح اتفـاق الفريقين على اسـتحباب زيارة قبر النبىّ الاكرم (صـلى الله عليه وآله)، وقـد بلغ الاتفاق إلى حدّ نرى وحدة المضمون بل التعبير فى رواياتهم، وهناك روايات أُخرى عن العترة الطاهرة لم نذكرها روماً للاختصار.

۱- الصدوق، علل الشرائع : ۴۶۰ ـ المجلسى، البحار ۹۷ : ۱۴۰.

۲- ابن قولويه، كامل الزيارات : ۱۲ ـ المجلسى، البحار ۹۷ : ۱۴۲.

۳- المصدر نفسه، وفى البحار : ۱۴۳.

۴- المصدر نفسه : ۱۳، والمصدر الثانى نفسه.

۵- المصدر نفسه: ۱۴، والمصدر الثانى : ۱۴۴.

ص: ۵۸

ومن تجرّد عن الرأى المسبق أو التشكيك الذى أثاره بعض الناس، ونظر إلى كلمات أعلام المذاهب وروايات الفريقين يحصل له القطع واليقين على أنّ استحباب زيارته (صلى الله عليه وآله) من الأُمور الواضحة فى الشريعة الاسلامية الغرّاء، وأنّ التشكيك فيها تشكيك فى الأُمور المسلَّمة والمتَّفق عليها.

ص: ۵۹

۵ـ شدّ الرحال إلى زيارة النبىّ الاكرم(صلى الله عليه وآله)

اشارة

إذا كانت زيارة النبىّ الاكرم أمراً مطلوباً وعملاً مستحبّاً كما دلّت عليه الروايات المتضافرة والسيرة القطعية يكون شدّ الرحال، الذى هو بمنزلة المقدمة أمراً مستحبّاً، بناءً على الملازمة بين استحباب الشىء واستحباب مقدمته، كما عليه أكثر الاُصوليين، وهذا له نظائر فى الشريعة الاسلامية، تحكى أنّ وسيلة القربة، قربة قال سبحانه: (وَمَنْ يَخْرُج مِنْ بَيتِه مُهاجراً إلى اللهِ ورَسُولهِ ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ فَقَدْ وَقعَ أجرُهُ عَلى اللهِ) (النساء/۱۰۰) فهذا الانسان مأجور بخروجه هذا وإن كان مقدمة لامر مطلوب آخر.

يقول سبحانه فى حقّ المجاهدين: (ذلكَ بأنَّهم لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ فِى سَبيلِ اللهِ ولا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفّارَ ولا يَنالُونَ مِن عَدُوّ نَيلاً إلاّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَملٌ صالِحٌ إنَّ اللهَ لايُضِيعُ أجرَ

ص: ۶۰

الْمحْسِنِينَ * ولا يُنفِقُونَ نَفقةً صَغيرةً ولا كَبيرةً ولا يَقطعُونَ وادِياً إلاّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما كانوا يَعملونَ) (التوبة/۱۲۰ـ۱۲۱).

وهذه الاُمور التى كتب الله لهم بها أجراً، وسيلة الجهاد، ومقدمة للقتال، وهذا يكشف عن التلازم بين الاستحبابين، أو الثوابين.

نعم، ذهب بعض الاُصوليين إلى عدم الملازمة ولكنّهم متّفقون على لزوم كون المقدمة مباحة لا ـ محرّمة، لاستلزامه التناقض فى التشريع، حيث لا ـ يعقل البعث إلى أمر، مع المنع عمّا يوصل المكلف إليه، وعلى كل تقدير لا يصحّ تحريم السفر مع افتراض كون الزيارة أمراً راجحاً، وفعلاً مستحبّاً فلا محيص إلاّ بالقول باستحبابه، أو إباحته. ولا تجتمع حرمة المقدمة مع استحباب ذيها.

نعم، هنا فرق بين زيارة قبر النبىّ، وزيارة قبور المسلمين، فإنّ الاوّل مستحبّ بالخصوص، بخلاف الاخرين فإنّها مسنونة على وجه العموم فلو زار إنسان قبر أبيه أو أخيه، فإنّما يزورهما بما أنّ زيارتهما داخلة تحت عموم قوله (صلى الله عليه وآله): «فزوروا القبور، فإنّ زيارتها تذكّركم الاخرة»، وهذا بخلاف زيارة الرسول فإنّها ـ مضافاً إلى أنّها داخلة تحت العموم ـ مستحبة فى نفسها.

وقد جرت سيرة المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على شدِّ الرحال إلى زيارة النبىّ الاكرم وعدّوا زيارتها قربة، والسفر إليها مثلها، ولم ينكر أحد قربية الزيارة ولا جواز السفر إلاّ ابن تيمية فى أوائل القرن الثامن لشبهة طرأت له، وسنتعرض لها فى فصل مستقل.

ولاجل إيقاف القارئ على اتصال السيرة إلى عصر الصحابة نذكر

ص: ۶۱

بعض مايدلّ عليه:

۱ ـ روى ابن عساكر بإسناده عن أبى الدرداء قال: لمّا فرغ عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)عن فتح بيت المقدس فصار إلى الجابية سأله بلال أن يقرَّه بالشام ففعل ذلك ـ إلى أن قال ـ ثم إنّ بلالاً رأى فى منامه رسول الله وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورنى يا بلال، فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبى (صلى الله عليه وآله) فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسينَ (رضى الله عنهما) فجعل يضمّهما ويقبّلهما فقالا له: نشتهى أذانَك الذى كنت تؤذّن به لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فى المسجد ففعل، فعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذى كان يقف فيه فلمّا أن قال: الله أكبر، الله أكبر، ارتجّت المدينة، فلمّا أن قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، إزدادت رجّتها، فلمّا أن قال: أشهد أنّ محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهنّ وقالوا: بُعِثَ رسول الله. فما رؤى يوم أكبر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله من ذلك اليوم(۱) .

۲ ـ استفاض عن عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) أنّه كان يُبرِد البريد من الشام إلى المدينة يقول: سلِّم لى على رسول الله، روى ابن الجوزى: «وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبىّ ثم يرجع»(۲) .

۱- ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق ۵ : ۲۶۵ ـ الحافظ جمال الدين المزّى، تهذيب الكمال ۴ : ۲۸۹.

۲- ابن الجوزى، مثير الغرام الساكن.

ص: ۶۲

وربّما كان يجتمع مع قصد الزيارة قصد أمر آخر. فكان يُشَدّ لغايتين.

۳ـ روى يزيد بن أبى سعيد، مولى المهرى قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز فلمّا ودّعته قال: إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبىّ فاقرأه منّى السلام(۱) .

۴ـ روى أبو الليث السمرقندى الحنفى فى الفتاوى فى باب الحج: قال أبو القاسم: لمّا أردت الخروج إلى مكّة قال القاسم بن غسان: إنّ لى إليك حاجة، إذا أتيت قبر النبى فاقرأه منّى السلام، فلمّا وضعت رحلى فى مسجد المدينة ذكرت.

قال الفقيه: فيه دليل إن لم يقدر على الخروج يأمر غيره ليسلّم عنه فإنّه ينال فضيلة السلام(۲).

۵ـ روى الواقدى فى فتوح الشام: كان أبو عبيدة منازلاً بيت المقدس فأرسل كتاباً إلى عمر مع ميسرة بن مسروق (رضى الله عنه) يستدعيه الحضور، فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله دخلها ليلاً ودخل المسجد وسلّم على قبر رسول الله وعلى قبر أبى بكر (رضى الله عنه)... ثم إنّ عمر لمّا صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الاحبار وأسلم وفرح عمر بإسلامه قال عمر (رضى الله عنه) له: هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى وتتمتع بزيارته، فقال لعمر يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك، ولما قدم عمر

۱- الامام السبكى، شفاء السقام : ۵۶.

۲- المصدر نفسه.

ص: ۶۳

المدينة، أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله(۱) .

۶ ـ قال ابن بطـة العكبری الحنبلی (م/۳۸۷هـ) فی كتاب الابانـة عن شـريعة الفرقة الناجية: «إنّ كل عالم من علماء المسـلمين وفقيه من فقهـائهم ألّف كتابـاً فی المناسـک ففصّـ له فصولاً ـ وجعله أبواباً، يـذكر فی كل باب فقهه، ولكل فصل عمله وما يحتاج إليه الحاج إلی عمله والعمـل به قولاً ـ وفعلاً من الاحرام والطواف والسـعی والوقوف، والنحر، والحلق، والرمی، وجميع ما لا يسع الحاج جهله، ولا غنی بهم عن عمله، حتی زيـارة قبر النبی فيصف ذلـک فيقول: تـأتی القبر فتسـتقبله وتجعـل القبلـة وراء ظهرک وتقول: السـلام عليک أيّها النبیّ ورحمـة الله وبركاته، حتی تصف السـلام والدعاء ثم يقول: وتتقدم علی يمينک وتقول السـلام عليک يا أبا بكر وعمر. ـ إلی أن قال ـ : ولقـد أدركنا الناس ورأيناهم وبلغنا عمّن لم نره أنّ الرجل إذا أراد الحج فسـلم عليه أهله وصـحابته قالوا: وتقرأ علی النبی وأبی بكر وعمر منّا السلام فلا ينكر ذلک أحد ولا يخالفه(۲) .

إطباق السلف والخلف علی جواز السفر

جرت سـيرة المسـلمين علی زيارة الرّسول ـ عند الوفود إلی الحج ـ بالمرور بالمدينة أو رجوعاً من مكة إليها، و هذا أمر ملموس وظاهر مشهود من الوافدين من كل فجّ عميق، وعلی ذلک جرت السيرة

۱- الواقدی، فتوح الشام ۱ : ۲۴۴، طبعة دار الجيل، بيروت.

۲- أبو عبد الله ابن بطة، فی الابانة عن شريعة الفرق الناجية ـ كما فی شفاء السقام : ۶۰.

ص: ۶۴

فى جميع القرون، فلا يمكن لاحد إنكارها، بل هى كاشفة عن استحبابها عند الشرع، وهذا هو الامام السبكى يذكر سيرة المسلمين فى أيام الحج ويقول: إنّ الناس لم يزالوا فى كلّ عام إذا قضوا الحجَّ يتوجّهون إلى زيارته (صلى الله عليه وآله) ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج، هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا، وحكاه العلماء عن الاعصار القديمة، وذلك أمر لا ـ يرتاب فيه، وكلّهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه، وإن لم يكن فى طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الاموال، ويبذلون فيه المهج، معتقدين أنّ ذلك قربة وطاعة. وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الارض ومغاربها على ممرّ السنين وفيهم العلماء والصلحاء، وغيرهم يستحيل أن يكون خطأً، وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرّب به إلى الله عزّ وجلّ، ومن تأخّر عنه من المسلمين فإنّما يتأخّر بعجز أو تعويق المقادير، مع تأسّفه وودّه لو تيسّر له، ومن ادّعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطئ.

ومن نازع فى ذلك وقال فانّهم يقصدون من سفرهم زيارة المسجد، لا زيارة الرسول الاكرم، فلم ينصف وكابر فى أمر بديهى فإنّ الناس من حين يعرجون إلى طريق المدينة، لا يخطر ببالهم غير الزيارة من القربات إلّا قليلاً منهم، وغرضهم الاعظم هو الزيارة ولو لم يكن ربّما لم يسافروا، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس مع تيسّر إتيانه وليس الصلاة فيه بأقل ثواباً من الصلاة فى مسجد النبىّ(۱)

.

۱- الامام السبكى، شفاء السقام : ۱۰۰و۱۰۱.

ص: ۶۵

حديث عدم شدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة

لقـد تجلّى جواز السـفر إلى زيـارة النبيّ الاكرم ولم يبق في المقام سوى ما رواه أبو هريرة عن رسول الله من عـدم شـدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة، وهو المستمسك الوحيد اليوم لمن يحرّم السفر، وإليك توضيحه:

إنّ الرواية نقلت بصور مختلفة، والمناسب لما يرومه المستدلّ الصورة التالية:

«لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، ومسجد الحرام ومسجد الاقصى».

فتحليل الحديث يتوقّف على تعيين المستثنى منه وهو لا يخلو من صورتين:

۱ ـ لا تُشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد...

۲ ـ لا تُشدّ الرحال إلى مكان من الامكنة إلاّ إلى ثلاثة مساجد...

فلو كانت الأُولى كما هو الظاهر، كان معنى الحـديث النهى عن شـدّ الرحال إلى أى مسـجد من المساجـد سوى المساجـد الثلاثة، ولا يعنى عـدم جواز شدِّ الرحال إلى أىّ مكان من الامكنة إذا لم يكن المقصود مسـجداً، فالحديث يكون غير متعرض لشدّ الرحال لزيارة الانبيـاء والائمـة الطاهرين والصالحين، لانّ موضوع الحـديث إثباتاً ونفياً هو المساجـد، وأمّا غير ذلك فليس داخلاً فيه، فالاسـتدلال به على تحريم شد الرحال إلى غير المساجد، باطل.

وأمّا الصورة الثانية: فلا يمكن الاخذ بها إذ يلزمها كون جميع السفرات محرّمة سواء كان السفر لاجل زيارة المسجد أو غيره من

ص: ۶۶

الامكنة، وهذا لا يلتزم به أحد من الفقهاء.

ثم إنّ النهى عن شدّ الرحال إلى أىّ مسجد غير المساجد الثلاثة ليس نهياً تحريمياً، وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى فى سفر كهذا، وذلك لانّ المساجد الاُخرى لاتختلف من حيث الفضيلة، فالمساجد الجامعة كلّها متساوية فى الفضيلة، فمن العبث ترك الصلاة فى جامع هذا البلد والسفر إلى جامع بلد آخر مع أنّهما متماثلان.

وفى هذا الصدد يقول الغزالى: «القسم الثانى، وهو أن يسافر لاجل العبادة إمّا لحجّ أو جهاد... ويدخل فى جملته زيارة قبور الانبياء(عليهم السلام) وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء، وكلّ من يُتبرَّك بمشاهدته فى حياته يُتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله (صلى الله عليه وآله): «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، ومسجد الحرام ومسجد الاقصى»، لانّ ذلك فى المساجد، فانّها متماثلة (فى الفضيلة) بعد هذه المساجد، وإلاّ فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء فى أصل الفضل، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله(۱).

يقول الدكتور عبد الملك السعدى: إنّ النهى عن شد الرحال إلى المساجد الاخرى لاجل أنّ فيه إتعاب النفس دون جدوى أو زيادة ثواب، لانّه فى الثواب سواء، بخلاف الثلاثة لانّ العبادة فى المسجد

۱- الغزالى، إحياء علوم الدين ۲ : ۲۴۷، كتاب آداب السفر، ط دار المعرفة، بيروت.

ص: ۶۷

الحرام بمائة ألف، وفى المسجد النبوى بألف، وفى المسجد الاقصى بخمسمائة فزيادة الثواب تُحبِّب السفر إليها وهى غير موجودة فى بقية المساجد(۱) .

والدليل على أنّ السفر لغير هذه المساجد ليس أمراً محرّماً، ما رواه أصحاب الصحاح والسنن: «كان رسول الله يأتى مسجد قبا راكباً وماشياً فيصلى فيه ركعتين»(۲) .

ولعلّ استمرار النبى على هذا العمل كان مقترناً لمصلحة تدفعه إلى السفر إلى قبا والصلاة فيه مع كون الصلاة فيه أقلّ ثواباً من الثواب فى مسجده.

دراسة كلمة ابن تيمية فى النهى عن شدّ الرحال

إنّ لابن تيمية فى المقام كلمة فيها مغالطة واضحة، إذ مع أنّه قدّر المستثنى منه لفظ المساجد، إلاّ أنّه استدلّ على منع شدّ الرحال لزيارة قبور الانبياء والصالحين بمدلوله أى القياس الاولوى، فقال فى الفتاوى:

«فإذا كان السفر إلى بيوت الله غير الثلاثة ليس بمشروع باتفاق الائمة الاربعة بل قد نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) فكيف بالسفر إلى بيوت المخلوقين الذين تتّخذ قبورهم مساجد وأوثاناً وأعياداً ويشرك بها وتدعى من دون الله، حتى أنّ كثيراً من معظّميها يفضّل الحجّ إليها على

۱- الدكتور عبد الملك السعدى، البدعة : ۶۰.

۲- مسلم، الصحيح ۴ : ۱۲۷ ـ البخارى، الصحيح ۲ : ۷۶ ـ النسائى، السنن ۲ : ۱۳۷، المطبوع مع شرح السيوطى.

ص: ۶۸

الحج إلى بيت الله»(۱) .

ولو صحّ ذلك النقل عن ابن تيمية ففى كلامه أوهام شتى إليك بيانها:

۱ ـ قال: «إذا كان السفر إلى بيوت الله غير الثلاثة ليس بمشروع».

يلاحظ عليه:

من أين وقف على أنّ السفر إلى غير المساجد الثلاثة محرّم؟! وقد عرفت أنّ النهى ليس تحريمياً مولوياً وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى، ولاجل ذلك لو ترتّبت على السفر مصلحة لجاز كما عرفت فى سفر النبىّ إلى مسجد قبا مراراً.

۲ ـ نسب عدم المشروعية إلى الائمة الاربعة، إلّا أنّنا لم نجد نصّاً منهم على التحريم، ووجود الحديث فى الصحاح لا يدلّ على انّهم فسّروا الحديث بنفس ما فسّر به ابن تيمية.

ولا يخفى على الائمة ظهور الحديث فى الدلالة على عدم الجدوى، لا كون العمل محرّماً.

۳ـ أنّ عدم جواز السفر إلى غير المساجد الثلاثة لا ـ يكون دليلاً ـ على عدم جوازه إلى (بُيوت أذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ ويُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ) (النور/۳۶) إذ لا ملازمة بينهما، لانّه لا تترتب على السفر فى غير مورد الثلاثة أية فائدة سوى تحمّل عناء السفر، وقد عرفت أنّ فضيلة أى جامع فى بلد، نفسها فى البلد الاخر، وليس اكتساب الثواب متوقّفاً على السفر، وهذا بخلاف المقام فإنّ درك فضيلة قبر النبىّ يتوقف على السفر، ولا

۱- ابن تيمية، الفتاوى ـ كما فى كتاب البدعة للدكتور عبد الملك السعدى.

ص: ۶۹

يدرك بدونه.

۴ ـ يقول: «إنّ المسلمين يتّخذون قبور الانبياء أوثاناً وأعياداً ويشرك بها» (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أفْواهِهِمْ) أفمن يشهد كلّ يوم بأنّ محمداً عبده ورسوله ويكرمه ويعظّمه لانّه سفير التوحيد ومبلّغه ـ أفهل ـ يمكن أن يتّخذ قبره وثناً؟!

۵ ـ يقول: «تدعى من دون الله» إنّ عبادة الغير حرام لا مطلق دعوته، فعامة المسلمين حتى ابن تيمية يقولون فى صلاتهم: «السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته». والمراد من قوله سبحانه: (ولا تَدْعوا معَ اللهِ أحداً) (الجن/۱۸) لا تعبدوا مع الله أحداً. قال سبحانه: (ادْعُونى أسْتَجِبْ لَكُم إنَّ الَّذينَ يَستَكْبرونَ عَنْ عبادَتى سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ) (غافر/۶۰) فسمّى سبحانه دعوته: عبادة. فإذاً الدعوة على قسمين: دعوة عبادية إذا كان معتقداً بإلوهية المدعوّ بنحو من الانحاء، ودعوة غير عبادية، إذا دعاه على أنّه عبد من عباده الصالحين، يستجاب دعاؤه عند الله، والدعوة بهذا النوع تؤكّد التوحيد.

۶ ـ نَقَل: «إنّ بعض المسلمين يفضّل السفر إلى تلك الاماكن على الحجّ إلى بيت الله» لكنّها فرية بلا مرية، وليس على وجه البسيطة مسلم واع يعتقد بهذا ويعمل عليه.

۷ ـ لو كان السفر إلى القبور أمراً محرّماً فلماذا شدّ النبيّ الرحال لزيارة قبر أُمّه بالابواء وهى منطقة بين مكّة والمدينة، أفصار النبيّ ـ والعياذ بالله ـ مشركاً أو أنّ الرواية التى أطبق المحدّثون على نقلها مكذوبة، والله لا هذا ولا ذاك وإنّما...

ص: ۷۰

۸ـ إنّ ما ذكره من أسباب المنع تتحقق للمجاور للقبر بدون شدّ الرحال، فاللازم منع ارتكاب المحرّمات عند قبره لا منع السفر إليه.

۹ـ احتمال أنّ المراد من زيارة القبور (زوروا القبور) هو زيارة جميع القبور بدون تخصيص لزيارة قبر مشخّص، احتمال ساقط وذلك لانّ «ال» (الجنسية) إذا دخلت على الجمع أبطلت جمعيته وصار المراد بالمدخول أىّ فرد يتحقق به جنس القبر ويستوى فى ذلك المفرد والجمع.

۱۰ـ كيف يقال ذلك مع أنّ السيدة عائشة (رض) كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن بخصوصه(۱) حتى أنّ النبىّ يخصّ بعض القبور بالزيارة وقد وضع حجرات على قبر أخيه من الرضاعة عثمان بن مظعون وقال: «لتعرف بها قبر أخى» ولا تترتب على التعرّف فائدة سوى زيارته.

۱– ابن قدامة، المغنى ۲ : ۲۷۰.

ص: ۷۱

۶ - شبهات حول زیارهٔ الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله

اشارهٔ

استفاضت السنّهٔ النبویهٔ ـ کما مر ـ علی استحباب زیارهٔ الرسول، ودلّت السیرهٔ القطعیهٔ طوال القرون، المنتهیهٔ إلی عصر الصحابهٔ والتابعین، علی أنّها من السنن المطلوبهٔ، وأنّ شدّ الرحال إلیها، کشدّ الرحال إلی سائر الاُمور المسنونهٔ، وأکّد أعلام المذاهب علی کونها أمراً قُرْبیّاً، لذا فالتشکیک فی جواز زیارهٔ الرسول أشبه بالتشکیک فی أمر بدیهی، ولا غرو فی التشکیک فیها، فقد شکک عدّهٔ من فلاسفهٔ الاغریق فی أبده الاُمور وأوضحها، حتی شکّوا فی کل شیء، بما فی ذلک ذواتهم وأنفسِهم، وتفکیرهم وتعقّلهم، حتی فی حرارهٔ النار وبرودهٔ الماء، ولولا قیام الحکماء الالهیین کسقراط، وبعده أفلاطون وأرسطو، فی وجوه هؤلاء المنسلخین عن الانسانیهٔ لعمّت الداء العمیاء وجه البسیطهٔ.

ص: ۷۲

وما نذكره فى المقام من الشبه والتشكيكات لم يذكره ابن تيمية فى كتبه وإنّما نقلها الامام السبكى عن خطه، ويجترّها أتباعه من دون وعى، وإليك بيانها وتحليلها.

الشبهة الاُولى: فى تقسيم الزيارة إلى شرعية وبدعية

إنّ زيارة القبور على قسمين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالزيارة الشرعية يقصد بها السلام على الميّت والدعاء له إن كان مؤمناً، وتذكّر الموت سواء أكان الميت مؤمناً أم كافراً. والزيارة لقبر المؤمن نبياً كان أو غير نبىّ من جنس الصلاة على جنازته، يدعى له، كما يدعى إذا صُلّى على جنازته.

وأمّا الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشراك بالميت، مثل طلب الحوائج منه أو به أو التمسّح بقبره أو تقبيله أو السجود له ونحو ذلك. فهذا كلّه لم يأمر الله به ورسوله ولا استحبّه أحد من المسلمين، ولا كان أحد من السلف يفعله، لا عند قبر النبى ولا غيره، ولا يسألون ميتاً ولا غائباً سواء كان نبياً أو غير نبى بل كان فضلاؤهم لا يسألون غير الله شيئاً(۱) .

يلاحظ عليه: بأمرين:

۱ ـ حصر الزيارة فى قسمين مع أنّها ذات أقسام كما سنذكر.

۲ ـ إدخال الاُمور الجانبية، كالاستغاثة والسؤال به أو منه فى ماهية

۱- الامام السبكى، شفاء السقام : ۱۲۴-۱۲۵، نقلاً عن خط ابن تيمية.

ص: ۷۳

الزیارة مع أنّها لیست منها، فصار هـذا وذاک ذریعـة لتبلور الشـبهة لـدیه ولـدی أتباعه. وها نحن نذکر معنی الزیارة وأقسامها لیتبیّن أنّ القسم الاخیر الذی یقصد فیها الاشـراک لا یمتّ لزیارة المسـلمین بصـلة قبور أکابر الدین ولعلّ الغایة من ذکره دعم الشبهة فی أذهان البسطاء.

فالزیارة فی اللّغة هو العدول عن جانب والمیل إلی جانب آخر، قال ابن فارس: «الزور» أصل واحد یدل علی المیل والعدول، ومن هذا الباب الزائر لأنّه إذا زارک فقد عدل عن غیرک(۱) .

ویظهر من غیره أنّه «بمعنی القصد» وهو لا یخالف ما سبق، لانّ المیل إلی جانب لا ینفک عن القصد، قال الطریحی: زاره یزوره زیارة: قصـده فهو زائر، وفی الحـدیث من زار أخـاه فی جانب المصـر، أی قصـد، وفی الـدعاء: اللّهمّ اجعلنی من زوّارک إنی من القاصـدین لک، الملتجئین إلیک. والزیارة قصد المزور إکراماً له وتعظیماً واستئناساً به(۲) .

والظـاهر کمـا یظهر من ذیـل کلامـه أنّ معناها لیس مجرّد القصـد بل القصـد المنتهی إلی حضور الزائر لـدی المزور لاحـدی الغایات المذکورة فی کلامه، من التکریم والتعظیم والاستئناس به.

هـذا هو معنی الزیارة ولیس فیها شـیء من الاُمور التی ذکرها ابن تیمیـة بل هی الحضور عن قصـد لدی المزور لاحدی الغایات، وهی تختلف حسب اختلاف المزور شأناً، ومقاماً، ومهنهً.

نعم فی إمکان الزائر أن یزور الرسول لاحدی الغایات التالیة:

۱- ابن فارس، مقاییس اللغة ۳ : ۳۶.

۲- الطریحی، مجمع البحرین ۱ : ۳۰۵.

ص: ۷۴

۱ ـ أن يزور الرسول (صلى الله عليه وآله) لمجرّد تـذكّر الموت والاـخرة، وهـذا ثـابت فى زيارة جميع القبور من غير فرق بين الرسول وغيره بل المؤمن والكافر، ودلالـة القبور على ذلك متساويـة، كما أنّ المساجـد ـ غير المساجـد الثلاثـة ـ متساويـة لا يتعيّن شـىء منها بالتعيين بالنسبة إلى هذا الغرض، ولا معنى لشدّ الرحال إلى المدينة لزيارة الرسول لتلك الغاية المتحققة فى زيارة كلّ قبر فى بلد الزائر النائى.

۲ ـ أن يزور الرسـول (صـلى الله عليه وآله) للـدعاء له، كمـا زار الرسول أهـل البقيع، وهـذا مسـتحبٌ فى حقّ كـلّ ميت من المسـلمين، ويتحققّ فى زيارته (صلى الله عليه وآله)إذا صلّى عليه، وطلب الدرجة الرفيعة له، كما ورد فى الحديث: كان علىّ(عليه السلام) يقول: اللّهـمّ أعـل على بنـاء البـانين بنـاءه، وأكرم لـديك نُزُلَه، وشـرِّف عنـدك منزله، وآته الوسـيلة، وأعطه السـناء والفضـيلة، واحشـرنا فى زمرته(۱) .

۳ ـ أن يزوره (صـلى الله عليه وآله) للتبرّك به لانّه ليس فى الخلف أعظم بركة منه وهو حىّ يرزق، والصلة بيننا وبينه غير منقطعة، وقد اسـتفاضت الروايات على أنّه يسـمع كلامنا، ويرد سـلامنا، بشـهادة أنّ عامة المسـلمين، يسلّمون عليه فى تشهّدهم ويخاطبونهم بقولهم: السلام عليك أيّها النبىّ ورحمة الله وبركاته.

۴ ـ أن يزوره (صـلى الله عليه وآله) لاداء حقّه، فإنّ من كان له حقّ على الشـخص فينبغى له برّه فى حياته، وبعد موته والزيارة من جملة البرّ لما فيها من الاكرام وليس إنسان أوجب حقّاً عليها من النبىّ.

۱- نهج البلاغة، الخطبة ۱۰۶.

ص: ٧٥

هـذه هى الغايات المتصوّرة فى زيارة النبىّ الاكرم. وأمّا الزيارة البدعيـة التى تحـدّث عنها ابن تيميـة وأسـماها بدعيـة تارة وإشـراكاً لله تعـالى اُخرى، فهو ممّا أبـدعها ابن تيميـة وليس بين المسـلمين من يسوِّى بين الله ورسوله، كما هو شـعار المشـركين، كما قال سـبحانه حاكيـاً عنهم، (إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمين) (الشـعراء/٩٨)، والمسـلمون بعامّة طوائفهم براء من الشـرك وسـماته وقد عرف سبحانه أهل الشـرك بسـمة خاصّـة مـذكورة فى آيتين، قال سـبحانه: (ذلِكُمْ بِأنَّه إذا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرتُمْ وإنْ يُشـرَكْ بِه تُؤْمِنوا فَالحُكْمُ للهِ العلىِّ الكَبيرِ) (غافر/١٢).

وقـال تعـالى: (إنَّهُمْ إذا قِيـلَ لَهُمْ لا ـ إلهَ إلاّ اللهُ يَسْـتَكْبِرونَ) (الصافات/٣٥) فلا تجـد مسـلماً عنـدما يزور النبىّ تحت قبّته الخضـراء وفى مسجده يكون على تلك الحالة أى إذا دُعِىَ اللهُ وحدَه كفَر به، وإن يشرك به يؤمن به، أو إذا سمع لا إله إلاّ الله يستكبر عن عبادته.

ولا أدرى كيف تجرّى الرجل وحكم بشرك قاطبة المسلمين بمجرد أنّهم يطلبون منه الدعاء بعد رحيله، وكم من صحابىّ جليل، تكلّم معه وطلب منه الدعاء بعد وفاته.

١ ـ هـذا أبو بكر: أقبـل على فرسه من مسـكنه بالسـنخ حتى نزل فـدخل المسـجد فلم يكلّم الناس حتى دخل على عائشـة (رض) فتيمّم النبى (صـلى الله عليه وآله) وهو مسـجّى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله ثم بكى، فقال: بأبى أنت يا نبىّ الله لا يجمع الله عليك موتتين أمّا الموتة التى كتبت عليك فقد متّها(١) .

١- البخارى، الصحيح ٢ : ١٧، كتاب الجنائز.

ص: ۷۶

فلو لم تكن هناك صلة بين الحياتين فما معنى قوله: «بأبى أنت يا نبىّ الله» فإن لم يسمع فماذا قصد ذلك الصحابى من قوله: «لا يجمع الله عليك موتتين».

۲ ـ روى السهيلى فى الروض الانف: «دخل أبو بكر على رسول الله فى بيت عائشة ورسول الله مسجّى فى ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبى أنت وأُمى أمّا الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا»(۱) .

۳ ـ روى الحلبى فى سيرته وقال: «جاء أبو بكر من السنخ وعيناه تهملان فقبّل النبىّ (صلى الله عليه وآله) فقال: بأبى أنت وأُمى طبت حيّاً وميتاً»(۲) .

۴ ـ روى مفتى مكة المشرّفة زينى دحلان فى سيرته فذكر ما ذكراه، وقال: قال أبو بكر: طبت حيّاً وميّتاً، وانقطع بموتك ما لم ينقطع للانبياء قبلك، فعظمت عن الصفة وجُلِّتَ عن البكاء، ولو أنّ موتك كان اختياراً، لجُدنا لموتك بالنفوس، اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك(۳) .

۵ ـ قال أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) عندما ولى غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بأبى أنت وأُمى يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك

۱- أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى ۵۰۸ – ۵۸۱هـ الروض الانف ۴ : ۲۶۰.

۲- الحلبى على بن برهان الدين ۹۷۵ – ۱۰۴۴هـ السيرة الحلبية ۳ : ۷۴، ط دار المعرفة، بيروت.

۳- سيرة الزينى دحلان، بهامش السيرة الحلبية ۳ : ۳۹۱، ط مصر.

ص: ۷۷

من النبوّة والانباء وأخبار السماء ـ إلى أن قال ـ: بأبى أنت واُمى اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك»(۱) .

إلى هنا تمّت الاجابة عن الشبهة الاُولى وأمّا ما ذكره فى ضمنها من أنّه ممّا لم يأمر به الله ولا رسوله فستوافيك الاجابة عنه فى تحليل الشبهة الثانية.

الشبهة الثانية: إنّ زيارة النبىّ بدعة

«إنّ زيارة النبىّ ليس مشروعاً وانّه من البدع التى لم يستحبّها أحد من العلماء لا من الصحابة ولا من التابعين ومن بعدهم».

يلاحظ عليه:

أنّ ما ذكره فيها هو نفس ما ذكره فى ذيل الشبهة الاُولى غير أنّه أضاف فى المقام كون الزيارة بدعة.

نقول: إنّ البدعة عبارة عن إدخال ما ليس من الدين فيه، والتصرّف فى التشريع بإيجاد السعة أو الضيق فيه، وهذا إنّما يتصور فيما إذا لم يكن فى المورد دليل، وقد عرفت تضافر السنّة النبوية، والسيرة القطعية المسلّمة بين المسلمين على زيارته ومع هذا كيف تصح لمسلم داع تسمية تلك بدعة.

ثم إنّ السلفى يطلق على من يقفو أثر السلف، وقد عرفت أنّ السلف منذ رحيل الرسول، دأبوا على زيارة قبره والتبرك به، حتى أنّ الخليفتين أوصيا بالدفن لدى النبىّ، لما فيه من التبرّك بتربته، فأين

۱- نهج البلاغة : الخطبة ۲۳۵.

ص: ۷۸

وصف زيارته بالبدعة من عمل صحابته (صلى الله عليه وآله)، فقد تضافر عن ابن عمر أنّه كان يأتى قبر النبىّ فيسلّم عليه، أو أنّ عمر بن عبد العزيز يبرد البريد لزيارة الرسول نيابة عنه أو أنّ بلالاً، شدّ الرحال إلى المدينة لزيارة الرسول.

إنّ الحوار الدائر بين الامام مالك وأبى جعفر المنصور، يكشف الغطاء، ويجلّى الحقيقة:

روى القاضى عياض فى الشفاء بإسناده عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ـ ترفع صوتك فى هذا المسجد، فإنّ الله تعالى أدّب قوماً، فقال: (لا تَرفَعُوا أصواتَكُمْ فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ) (الحجرات/۲)، ومدح قوماً فقال: (إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) (الحجرات/۳) وذمّ قوماً فقال: (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونكَ مِنْ وراءِ الحُجُراتِ) (الحجرات/۴). وانّ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً، فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: ولِمَ تصرفُ وجَهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم (عليه السلام) إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله تعالى، قال الله تعالى: (ولو أنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاستَغْفَروا الله) (النساء/۶۴).

فانظر هذا الكلام من مالك رحمه الله وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسّل بالنبى (صلى الله عليه وآله) وحسن الادب معه(۱) .

۱- الامام السبكى، شفاء السقام : ۷۰.

ص: ۷۹

وأمّا التبرک بـالقبر، أو الاقسام علی الله بأحـد من خلقه والاسـتغاثة بالمیت، فالکل خارج عن ماهیـة الزیارة، وإنّما هی اُمور جانبیـة، لا تکون سـبباً، لتسـمیة الزیارة بدعة، علی أنّ الجمیع جائز بدلالة الکتاب والسـنّة ولیست تربة النبی الاکرم بأقلّ من قمیص یوسف، حیث تبرّک به یعقوب فعاد بصره، قال سبحانه: (اذْهَبُوا بِقَمیصـی هذا فَألقوهُ علی وَجْهِ أبی یَأتِ بَصیراً وَأْتُونی بِأَهلِکُمْ أجمعینَ... * فَلَمّا أنْ جاءَ البَشیرُ ألقاهُ علی وَجهِهِ فارتَدَّ بَصیراً قالَ أَلَمْ أقُلْ لَکُمْ إنِّی أعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمونَ) (یوسف/۹۴-۹۶).

ولیس ضـریح النبیّ ومدفنه بأقل کرامة من تابوت بنی إسـرائیل وما ترک آل موسی وآل هرون من قمیص وعصی وغیرهما، وکان بنو إسـرائیل یتبرّکون به فی الحروب قال تعالی: (وقالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إنَّ آیةَ مُلْکِهِ أنْ یَأْتِیَکُمُ التّابُوتُ فِیهِ سَـکینَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَبقِیَّةٌ مِمَّا تَرکَ آلُ مُوسـی وآلُ هرونَ تَحمِلُهُ المَلائِکَةُ إنَّ فی ذلکَ لایـةً لَکُم إنْ کُنتُمْ مُؤْمِنینَ) (البقرة/۲۴۸) قال الرازی: إذا حضـر (بنو إسرائیل) القتال قدّموه بین أیدیهم یسـتفتحون به علی عدوّهم، وکانت الملائکة تحمله فوق العسـکر وهم یقاتلون العدوَّ فإذا سمعوا من التابوت صیحة استیقنوا بالنصـر، فلمّا عصوا وفسدوا سلّطَ اللهُ علیهم العمالقة فغلبوهم علی التابوت وسلبوه، فلَما سألوا نبیَّهم البیّنة علی مُلک طالوت قال ذلک النبی: إنّ آیة ملکه أنّکم تجدون التّابوت فی داره(۱) .

۱- الرازی، مفاتیح الغیب ۶ : ۱۷۷.

ص: ۸۰

إنّ الاستغاثة بالنبیّ والولی أحیاءً وأمواتاً ترجع إلی طلب الدعاء منهم، فلو لم تکن للمیت مقدرة علی الاجابة یکون العمل لغواً لا شرکاً، ولیست الحیاة والموت حدّاً للتوحید والشرک حتی یکون خطاب الحیّ عین التوحید وخطاب المیّت، نفس الشرک.

علی أنّا قد ذکرنا استفاضة الاثر علی أنّ الصحابة کانوا یستغیثون بنبیّهم، نبیّ الرحمة وقد ذکر موارده فلاحظ(۱) .

الشبهة الثالثة: «إنّ الزیارة تؤدّی إلی الشرک»

هذه آخر ما فی کنانة الرجل من سهام مرشوقة وقد استدلّ علیه بما لا یمتّ إلی مدعاه بصلة، قال: إنّ من اُصول الشرک اتخاذ القبور مساجد کما قال بعض السلف فی قوله تعالی: (وقالُوا لا تَذَرُنَّ آلهتکُمْ ولا تَذرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا یَغُوثَ وَیعُوقَ ونَسْرا) (نوح/۲۳) قالوا: کان هؤلاء قوماً صالحین فلمّا ماتوا عکفوا علی قبورهم ثم صوّروا علی صورهم تماثیل ثم طال علیهم الامد فعبدوها.

یلاحظ علیه:

أنّ محور البحث هو الزیارة علی ماجرت علیه سیرة السلف والخلف ولم تؤدی طوال القرون الاربعة إلی الشرک، ولم تکن عکوفاً علی القبور ولا بتصویر تماثیلهم وعبادتهم مکان عبادة الله، فأیّ صلَة لهذا الکلام بمدعاه من تحریم الزیارة.

۱- السبحانی، التوسل : ۶۷ - ۷۷.

ص: ۸۱

إنّ زيارة قبر نبيّ التوحيـد ورسوله، دعم للمبـدأ الـذى جاء به وتأكيد لصـحّة رسالته التى كانت فى طريق تحطيم الوثنية وعبادة الانداد والامثال المزعومة، فكيف تقع مثلها ذريعة إلى الشرك ياترى؟!

يقول ابن زهرة:

«فإنّ التقـديس الـذى يتّصل بالرسل إنّما هو لفكرتهم التى حملوها، فالتقديس لمحمد (صـلى الله عليه وآله) تقديس للمعانى التى دعا إليها، وحثّ عليها فكيف يتصوّر من مؤمن عرف حقيقـة الـدعوة المحمديـة أن يكون مضـمراً لاىّ معنى من معانى الوثنية وهو يسـتعبر العبر، ويستبصـر ببصـيرته عنـد الحضـرة الشـريفة والروضـة المنيفـة، فإذا كان خوف ابن تيميـة من أن يؤدى ذلك إلى الوثنيـة بمضـى الاعصار والدهور فإنّه خوف من غير جهة. لانّ الناس كانوا يزورون قبر الرسول (صـلى الله عليه وآله) إلى أوّل القرن الثامن ثم استمرّوا على هـذه السيرة فى العصور من بعـده إلى يومنا هـذا، ومع ذلك لم ينظر أحد إلى هذا العمل نظرة عبادة أو وثنية ولو تفرّط أحد فهو من العوام ولا يمنع تلك الذكريات العطرة بل يجب إرشادهم لا منعهم من الزيارة وتكفيرهم»(۱) .

قال الشيخ محمد زاهد الكوثرى من علماء الازهر الشريف:

إنّ سـعى ابن تيميـة فى منع النـاس من زيارة النبيّ (صـلى الله عليه وآله) يـدل على ضـغينة كامنـة فيه نحو النبيّ (صـلى الله عليه وآله)، وكيف يتصوّر الاشراك بسبب الزيارة، والتوسّل فى المسلمين الذين يعتقدون فى حقّه أنّه عبده ورسوله

۱- كلام ابن زهرة فى كتابه حول حياة ابن تيمية.

ص: ۸۲

وينطقون بـذلك فى صـلاتهم نحو عشـرين مرة فى كل يوم على أقلّ تقـدير، إدامة لذكرى ذلك ولم يزل أهل العلم ينهون العوام من البـدع فى كـل شؤونهم، ويرشـدونهم إلى السـنّة فى الزيـارة وغيرهـا إذا حـدث منهم بدعـة فى شـىء، ولم يعـدّوهم فى يوم من الايام مشـركين بسـبب الزيـارة أو التوسـل، وأول من رمـاهم بالاشـراك بتلـك الوسـيلة هـو ابن تيميـة وجرى خلفه من أراد اسـتباحة أمـوال المسلمين ودمائهم لحاجة فى النفس(۱) .

وأمّيا ما رواه إمام الحنابلـة عن أبى هريرة عن النبى (صـلى الله عليه وآله) أنّه قال: «اللّهمّ لا تجعل قبرى وثناً، لعن الله قوماً اتّخـذوا قبور أنبيائهم مساجد»(۲) . فـإنّ الحـديث ـ إذا افترضـنا صـحة الاحتجـاج به ـ لا صـلة له بالزيارة، وإنّما يهيب بالّذين يتَّخـذون قبور أنبيائهم مساجـد، يصـلّون إليهـا ـ إذا اتّخـذوها قبلـة ـ أو لها، إذا عبـدوها. ويـدل على ما ذكرنا ما روى أيضاً من أنّه (صـلى الله عليه وآله) قال: «اللّهم لا تجعل قبرى يصلّى إليه فإنّه اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(۳) .

(وكَفى بِرَبِّكَ هادِياً ونَصيراً) (الفرقان/۲۱)

۱- تكملة السيف الصقيل : ۱۵۶.

۲- الامام أحمد، المسند ۲ : ۲۴۶.

۳- كنز العمال ۲ : برقم ۳۸۰۲.

ص: ۸۳

۷ـ تذکرهٔ و إنذار

إنّ لزیارهٔ العظماء والقدّیسین، أصحاب الرسالات آثاراً إیجابیهً تعود تارهٔ إلی الزائر وأُخری إلی المزور.

أمّا الأُولی:

فلانّ الزیارهٔ صلهٔ بین الکامل ومن یروم الکمال، فالدوام علی مواصلته محاولهٔ للتخلّق بأخلاقه، واتّباعِ منهجه وتجدید العهد معه، ولذلک لا تجد إنساناً وَقف أمام قبر النبیّ الاکرم (صلی الله علیه وآله) وزاره إلّا ویتأثّر بشخصه و شخصیّته، وإن کان التأثّر قلیلاً مؤقّتاً، فزیارتهم تقترن غالباً بذرف الدموع، والعطف والحنان علی المزور، وهی لا تنفک عن تحوُّل نفسیّ وأخلاقیّ وحبّ ووُدٍّ لهم، وبالتالی شعوره بقربه منهم ومشاطرته لاهدافهم، إلی غیر ذلک من الاثار الایجابیهٔ التی تعود علی الزائر والتی أشرنا إلیها فی تمهیدنا الذی تصدّرت هذه الرسالهٔ به، ولا نعود إلی تلک الاثار التی تعود إلی الزائر.

ص: ۸۴

أمّا الثانية:

أعنى الاثار الايجابية التى تعود إلى المزور فهذا هو المقصود فى بياننا، وهو أنّ زيارة العظماء هى تخليد لذكراهم، وتجسيد لرسالاتهم فى الاذهان، وبالتالى تكون سبباً لبقائهم أحياءً فى كلّ عصر، وقرن، لا يتسرّب إلى وجودهم ورسالاتهم وبطولاتهم أدنى ريب وشكٍّ، فبذلك يتجلّى المزور فى كل زمان حيّاً فى القلوب وفى المجتمع، كما لو كان موجوداً بشخصه فى زمن الزائر، فكأنَّ الزيارةَ استمرار لبقائهم فى القلوب تجلى الصدأ عنها، وتتجلّى صحة وجودهم للخلف كما تجلّت للسلف وتكون بمنزلة الدليل على وجودهم ورسالاتهم وبطولاتهم.

فلو حذفنا الزيارة من قاموس حياتنا و تركنا مزارهم وأقفلنا أبواب بيوتهم ولم نهتمّ بآثارهم طوالَ قرون، فقد جعلنا آثارهم فى مهبِّ الفناء والتدمير، وبالنتيجة التشكيك فى أصل وجودهم وبعثهم، وبالتالى تصبح تلك الشخصيات بعد قرون أساطيرَ تاريخية للخلق، فيتلقّون النبىّ والامام بل الانبياء كلّهم قصصاً تاريخية نسجتها يدُ الخيال، كما هو الحال فى كثير من القصص التاريخية التى أصبحت تُروى على ألسن الاطفال وفى المنتديات.

إنّ الانسان الغربىّ يتمتّع فى حياته بكلّ ما هو غربىّ إلاّ الدين والمذهب، فإنّ مذهبه شرقىّ، لانّ المسيح وليد الشرق ومبعوثه سبحانه إلى أرض فلسطين وغيرها وبما أنّ الغربىّ لا يجد أثراً ملموساً للمسيح فى حياته فمثلًا ليس له قبر حتى يُزار ولا لأُمّه قبر حتى يُنسب إليها، ولا لكتابه صورة صحيحة يؤمن به، ولا لتلاميذه وحوارييه آثار ملموسة، فلذلك صارت الديانة المسيحية أُسطورة تاريخية فى نظر الغرب

ص: ۸۵

وشبابه المثقّفین بعد ألفی عام وإن کان الشیوخ والعجائز یُؤمنون به إیماناً تقلیدیّاً لا ـ علمیاً، فالجُدد منهم مسیحیّون فی هویّاتهم الشخصیة لا فی هویاتهم العقلیة والفکریة، وممّا أثّر فی ذلک هو فقدان کلّ أثر ملموس عن سیّدنا المسیح فی حیاتنا البشریّة، ولولا أنّ القرآن الکریم جاء بذکره ورسالته ومواقفه لکان الشک متسرِّباً إلی أذهاننا وأفکارنا.

وهذا بخلاف ما لو کان له أثر ملموس یُزار بین آونة وأُخری، وتشدُّ الرحال إلیه عندئذ لکانت الدیانة المسیحیة حیّة نابضة بلا شک وریب.

ومن الاسباب والوسائل التی أضفت علی الاسلام حیویة وعلی نبیّه بقاءً فی القلوب وعلی مواقفه وبطولاته خلوداً فی الاذهان والضمائر، هو وفود المسلمین فی کلّ شهر وسنة إلی موطنه (مکّة) و مهجَرِه (المدینة) وزیارة قبره وآثاره وقبور أولاده وأصحابه ومشاهدة مولده ومبعثه وما یمتُّ إلیه بصلة طوال حیاته، حیث أضفت هذه الوفادة المستمرة علی وجوده ورسالته نوراً وضیاءً، وواقعیة تُذهِب کلّ ریب وشکّ وتقرّ فی النفوس عظمته وبطولاته.

وإذا کانت الذکری ناقوساً فی وادی النسیان یذکّرک الحبیبَ ویرِنُّ فی أسماعک جماله وکماله، فزیارته والمثول أمام آثاره وعظمته تُؤثر فی خلوده وبقائه فی النفوس وتزیل غبار النسیان عنه. لذا نری أنّ الفقهاء أفتوا بأنّه یجب علی الحاکم الاسلامی تجهیز المسلمین من بیت المال وإرسالهم إلی الحجّ اذا خلت الکعبة عن الزوار لئلّا تُنسی وحتی تبقی خالدة فی قلوب المسلمین ومهوی أفئدتهم، فکذلک قبور الانبیاء والمرسلین وفی مقدّمتهم سیّدنا سید الرسل نبیّنا الاکرم علیه صلوات

ص: ۸۶

الله وعلى آله ومن تبعه بإحسان، وذلك لانّ هجرة قبورهم وعدم الاهتمام بها تمهيد لنسيانهم ورسالاتهم وبالتالى القضاء على الاسلام.

* * *

أخى القارئ الكريم ;لقـد عالجت مسألة الزيارة معالجة علميّة فى ضوء القرآن والحديث الصـحيح وقضاء الفطرة الانسانية، فلم يبق فى رجحان الزيارة واستحبابها شرعاً شكّ ولا ريب، وقد تعرفت على آثارها الايجابية للزائر والمزور، وقد أزحنا بعضَ الاشواك النامية فى هذا الطريق، فعلى المشـرفين على القبور والاضـرحة ونخصّ بالذكر قبرَ سـيد البشـر ـ عليه صـلوات الله وسلامه ـ استقبال الوافدين عليها بوجوه مشرقة مرَحِّبين بضيوف النبى مهيّئين الاجواء الودّية المناسبة للزيارة، وحشد كلّ الامكانات المادّية والمعنوية لاقامتهم فى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)إقامة مقرونة بالارتياح.

ولا تفوتنا الاشارة هنا إلى واجب الخطباء والعلماء فى إرشاد المسـلمين وتوجيههم إلى الاداب الصـحيحة للزيارة وتذكّرهم بما ينفعهم فى الـدنيا والاخرة، حتى يتلقّى الزائر أنّ الحضور فى مزاره الشـريف وسـيلة للتذكرة به وهى لا تنفك عن العمل بشـريعته ودينه وسـنّته والتخلّق بأخلاقه.

نحمده سبحانه ونستعين به وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

جعفر السبحانى

۲۴ محرم عام ۱۴۱۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحَار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"
تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)
رقم التسجیل: ۲۳۷۳
الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول علی المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المـرکز من فضلـکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹